

وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ

بقلم : الحبيب الدويدي

وبعد ، فَإِنَّا إِذَا تَصَفَّحْنَا الْفَضَائِلَ لَنَعْرِفَ مَنَازِلَهَا فِي الشَّرَفِ وَنَتَّبِعُنَ مَوَاقِعَهَا مِنَ الْعَظَمِ وَنَعْلَمُ أَيَّ أَحَقِّ مِنْهَا بِالتَّقْدِيمِ وَأَسْبَقِ فِي اسْتِجَابِ التَّعْظِيمِ وَجَدْنَا الْفَنَ مِنْ أَوَّلَاهَا بِذَلِكَ . فَهُوَ بَحْرٌ زَخَارٌ لَا يَذُرُّكَ لَهُ مِنْ قَرَارٍ وَطَوْدٌ شَامِخٌ لَا يَسْلُكُ إِلَيْهِ قِمَمِهِ وَلَا يَصَارُ . مِنْ أَرَادَ السَّبِيلَ إِلَى اسْتِقْصَانِهِ لَمْ يَبْلُغْ إِلَى ذَلِكَ وَصُولًا وَمَنْ رَامَ الْوَصُولَ إِلَى إِحْصَانِهِ لَمْ يَجِدْ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا .

وَلَكِنَّكَ لَا تَرَى فِي الدُّنْيَا شَأْنًا أَعْجَبَ مِنْ شَأْنِ النَّاسِ مَعَ الْفَنِّ وَلَا فِسَادَ رَأَى مَازَجَ النُّفُوسِ وَخَامَرَهَا وَاسْتَحْكَمَ فِيهَا وَصَارَ كَأَحْدَى طَبَائِعِهَا مِنْ رَأْيِهِمْ فِي الْفَنِّ ، فَلَسْتُ تَرَى إِلَّا نَفُوسًا قَدْ جَعَلَتْ تَرَكَ النَّظَرِ دَابَّهَا وَوَصَلَتْ بِالْهَوَيْنَا أَسْبَابَهَا فَهِيَ تَغْتَرُّ بِالْأَضَالِيلِ وَتَتَّبَاعِدُ عَنِ التَّحْصِيلِ وَتَلْقِي بِأَيْدِيهَا إِلَى الشَّبهِ وَتَسْرِعُ إِلَى الْقَوْلِ الْمَمُوهِ .

وَلَيْسَ حَقِيقًا بِالْأَنْصُوءِ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ إِلَّا مَنْ كَانَ مُصْنِعًا لِلظُّلَامِ وَقَائِدًا فِي هَذَا الْأَنَامِ يَجْلِسُ بِأَفَانِيْنِهِ الْأَبْصَارِ الْكَلْبِيَّةِ وَيَشْحَذُ بِأَثَارِهِ الْأَذْهَانَ الْعَلِيلَةَ فَيَنْبَثُ الْقُلُوبَ مِنْ رَقْدَتِهَا وَيَوْقِظُ الْعُقُولَ بَعْدَ غَفْلَتِهَا وَيُنْهَجُ الطَّرِيقَ

الْوَضِيعَ وَيُرْشِدُ إِلَى النُّظَرِ الرَّجِيعِ .
فَصَاحِبُ صِنَاعَةِ الْفَنِّ هُوَ مَنْ بَرَعَ فِي لُطْفٍ مَا أَبْدَعَ وَانْتَهَى
إِلَى الْغَايَةِ .

فِيمَا أُحْدِثَ وَوَضَعَ ، يَكْشِفُ مَا خَفِيَ فِي الْكَوْنِ مِنْ أَسْرَارِ
الْجَمَالِ وَيَهْدِي إِلَى مَا حُجِبَ فِيهِ مِنْ آيَاتِ الْكَمَالِ ، يَطْهِّرُ
النَّفُوسَ مِنْ شَوَائِبِهَا وَأَذْرَانِهَا وَيَصْفِيهَا مِنْ كُدَرِهَا
وَأَشْجَانِهَا ، فَهُوَ كَالنَّبِيِّ صَاحِبِ رِسَالَةٍ عَلَوِيَّةٍ وَإِعْجَازٍ
مُبِينٍ وَرَأْسِ مَذْهَبٍ رُوحِيٍّ وَرَأْيٍ أَمِينٍ ، وَكَانَ الدِّيَانُ الْأَعْظَمُ
عَنَاهُ حِينَ قَالَ فِي مُحْكَمِ التَّنْزِيلِ « مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا
مَلَكٌ كَرِيمٌ » (يُوسُفُ / 31) .

وَمِتَقَلِّدُ هَذِهِ الصَّنِيعَةِ هُوَ ذَاكَ الَّذِي يَبْلُغُ فِي مَدَاوِةِ النَّاسِ
مِنْ عُلْتِهِمْ وَعِلَاجِ الْفَسَادِ الَّذِي يَغْرُسُ فِي أَمْزَجَتِهِمْ كُلِّ مَبْلَغٍ
وَيَنْتَهِي إِلَى كُلِّ غَايَةٍ وَيَأْخُذُ بِهِمْ عَنِ الْمَجَاهِلِ الَّتِي كَانُوا
يَتَعَسَّفُونَ فِيهَا إِلَى السُّنَنِ اللَّاحِبِ وَيَنْقُلُهُمْ عَنِ الْأَجِنِ
الْمَطْرُوقِ إِلَى التَّجِيدِ الَّذِي يَشْفِي غَلِيلَ الشَّارِبِ ، فَلَيْسَ كُلُّ
مَنْ نَظَّمَ الْأَوْزَانَ أَوْ نَاعَمَ الْعِيدَانَ مَتَمِّمًا فَنَائًا وَلَيْسَ كُلُّ
مَنْ مَازَجَ الْأَلْوَانَ أَوْ أَطْلَعَتْ حُجُورُ الصُّوَانِ أَحَادِقًا مَفْنَانًا ،
وَإِنَّمَا الْفَنَّانُ الْحَقُّ هُوَ كُلُّ مَبْتَدِئٍ بِشَيْءٍ لَمْ يَسْبِقْ إِلَيْهِ
وَمَبْتَدِعُ أَمْرٍ لَمْ يَتَقَدَّمْ فِيهِ عَلَيْهِ ثُمَّ كَانَ أَشْرُهُ ذَاكَ قَدْ نَحَتْ
مِنْ أَصْلٍ صَحِيحٍ وَأَخَذَ مِنْ مَعْدِنٍ صِدْقٍ وَاشْتَقَّ مِنْ نَبْعَةٍ
كَرِيمَةٍ .

وَمَتَى كَانَ الْفَنُّ أَيْضًا كَرِيمًا فِي نَفْسِهِ مَتَخَبِّرًا مِنْ جَنْسِهِ
وَكَانَ سَلِيمًا مِنْ سَمَاجَةِ الْأَسْتَكْرَاهِ بَرِيئًا مِنْ فُسَادِ التَّكْلِيفِ
حُبِّ إِلَى النَّفُوسِ وَأَتَّصَلَ بِالْأَذْهَانِ وَالتَّحَمَّ بِالْعُقُولِ وَهَشَّتْ
إِلَيْهِ الْأَسْمَاعُ وَأَرْتَاخَتْ لَهُ الْقُلُوبُ وَشَاعَ فِي الْأَفَاقِ ذِكْرُهُ
وَعَظُمَ فِي النَّاسِ خَطَرُهُ .

« وَإِنْ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ » (ق / 37)
صدق الله العظيم

كلمات منثورة

للأستاذ : البشير المجنوب

الفن يرفض البكاء ، ويأبى إلا أن تستخذي العاطفة ،
ويسخف الشعور . فلقد يبكي القلب ويأسى ، ولا تدمع العين
ولا تندي .

* * * *

كأنني بالقلب عند اللقاء صفوة الإخوان والأحباب يقول
مترنماً ، متوئلاً طرباً وسروراً : « ما أجدر هذه الحياة بأن
نعاش ملء الكيان ، مرة ومرة ومرة ، ولا خوف من شبح
وسأم ، أو رتابة وابتذال ، وإنما هو الأنس متجددا متولدا في
كل آن » .

* * * *

ما أشبهني بتلك الشجرة المؤنقة الناضرة المثقلة بالأزهار ولا
يرجى منها البتة ثمر !
قد أكتب الكلمة الطيبة ، أو كذا أراها ، وقد أرسم الحكمة
القيمة بزعمي وغروري ، ولا أنتفع من ذاك شيئاً .
عقيم . عقيم . عقيم .

ما أمتع الحكمة البسيطة العميقة تأتيك على لسان فتى في
مطلع الشباب ، فتى يُخيلُ أنه يُمارس الحياة ولم يعرفها بعد .
لكنّها الباكورة الجيدة الفاخرة ، وقد فُجئت بها على مائدة
أمامك

* * * *

ما من أمرٍ إلاّ وهو يحمل قضاؤه وقدره في أعماقه داخلَ
أرومته العتيقة الدهرية ، فما ينطق إلاّ بها ، ولا يفعل إلاّ بها
، ولا يمسك عن قول أو فعل إلاّ بها ، حكمة الله في تدبيره ،
ومنتهى بداعته في خلقه وإنشائه .

* * * *

اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي أَتَنْفَسَ الْحَمْدَ وَالتَّكْبِيرَ فِي كُلِّ آنٍ ، أَتَرَنَّمْ بَعِزَّةَ
ذَاتِكَ وَجَلَالِكَ ، شُكْرًا لِمَشِيئَتِكَ ، رِضًا بِحُكْمِكَ وَقَبُولًا !

* * * *

الله أكبر

الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر

«إنا لله وإنا إليه راجعون» صدق الله العظيم

يبالغ اللوعة وعميق الأسى تنعى أسرة مجلة الإتحاف الأستاذ الكبير والكاتب القدير
المرحوم البشير المجذوب الذي وافاه الأجل المحتوم يوم 17 مارس 1994 وهو الذي حبا
الإتحاف وقراءه بكريم رعايته حيث كان حريصا على تواصل صدورها مزدانة بكلماته
المنثورة ، وهي الأدب الأصيل والفكر النير والرأي الحصيف والمنهج القويم .
رحم الله الفقيد العزيز وأسكنه فراديس جناته ورزقنا ونويه وأسرة التربية والثقافة جميل
العسير والسلوان و«إنا لله وإنا إليه راجعون» ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العظيم .

تونس و العلاقات الخارجية في القرن 19

ابن ابي الضياف والبعثات الأجنبية

بقلم د . محمد العربي بوغزيري

توطئة :

انه لمن دواعي الغبطة والاعتزاز ان احضر اشغال ملتقى ابن ابي الضياف للفكر السياسي والاجتماعي الحديث - بهذه الربوع الخيرة، في دورته السادسة والمخصصة لتناول مبحث: «تونس والعلاقات الخارجية في القرن التاسع عشر».

وتجدر الإشارة بادئ ذي بدء الى دقة الموضوع المطروح واهميته في نفس الوقت.

وتتجلى اهمية الموضوع في ارتباطه بقرن يعد عصيبا (1) بمقارنته بغيره من القرون السابقة اذ شهد احداثا جساما ارتج لها القطر التونسي كما يشير الى ذلك ابن ابي الضياف والمؤرخون من بعده، اذ جاء في كتبهم ما يكفي لتصوير الوضع العام المتردي للولاية التونسية (2) خلال هذا القرن العصيب اذ شهد اول علاقة بين تونس وفرنسا في معاهدة 1802 التجارية التي تمتعت فيها هذه الاخيرة بامتيازات هامة.

كما شهد في الثلاثينات منه احتلال الجزائر سنة 1830 الامر الذي جعل تونس تقع بين فكي كماشة: «الهيمنة العثمانية من الشرق خاصة بعد ان اعادت السلطات العثمانية حكمها المباشر الي ليبيا سنة 1835، والنفوذ الاروبي المتزايد من الغرب خاصة بعد دخول فرنسا الى الجزائر» (3).

كما شهد هذا القرن في أواسطه ثورة علي بن غداهم الشهيرة (1864) على استبداد وظلم البايات وحكمهم المطلق (4). وفي هذا القرن تزايد النفوذ الاجنبي (5) في البلاد الامر الذي ادى الى انتصاب الحماية الفرنسية سنة 1881. وعرف هذا القرن كذلك قضية التنظيمات التي شملت تونس في عهد الامان المعلن عنه سنة 1857، والدستور المنبثق عنه سنة 1861 والذي تكثفت بسببه التدخلات الاجنبية في شؤون الدولة التونسية الامر

الذي ادى الى بروز نشاط قنصلي اودبلماسي اجنبي من اجل الظفر بمصير البلاد والاستحواذ عليها (6).

وفي هذا الاطار تاتي مداخلتنا المتواضعة لاستعراض موقف ابن ابي الضياف من هذا النشاط القنصلي الاجنبي الذي يعكس التدخل السافر للدبلوماسية الاجنبية في السياسة الداخلية والخارجية للإيالة.

اذ يعتبر ابن ابي الضياف خير شاهد على تلك الدبلوماسية لمعايشته لأحداثها، كيف لا وقد امتدت حياة الرجل زهاء الثلاثة ارباع الاولى من القرن التاسع عشر (7) من ناحية، ومن ناحية اخرى فقد كان الرجل يعيش اجواء الدبلوماسية ويطلع على خفايا امورها داخل بلاطات البايات الذين عمل تحت امرتهم (7) فخاض غمار الاحداث مباشرة وكانت جميع الوثائق المفيدة من مراسلات وتقارير وغيرها تحت تصرفه لتحرير تاريخه الشهير "اتحاف اهل الزمان باخبار ملوك تونس وعهد الامان"

كل ذلك يدفع بنا الى جملة من الاسئلة نحاول من خلالها تجلية موقف ابن ابي الضياف من البعثات الاجنبية في عصره.

فكيف كان واقع البلاد السياسي والاقتصادي والاجتماعي؟

وكيف كان التدخل الاجنبي ممثلا في نشاط القناصل الاجانب من فرنسيين وانجليز واطالبين فضلا عن الاتراك العثمانيين؟

ان اللقاء نظرة خاطفة عن احوال اوروبا بصفة عامة، واحوال العالم الاسلامي بصفة خاصة، واحوال تونس بصفة اخص، ابان القرن التاسع عشر وخاصة في النصف الثاني منه يكشف بجلاء كيف كان واقع البلاد السياسي والاقتصادي والاجتماعي وما تبع ذلك من نشاط قنصلي اجنبي وتدخل سافر في سياسة بايات تونس، لم يسمع بمثله في القرون الخالية (8).

إن المتأمل في شأن احوال اوروبا خلال القرن التاسع عشر يلحظ انه ما كاد هذا القرن يتوسط عقوده ويبلغ اوجه حتى كانت دول اوروبا قد تحفزت للدخول في عصر الاختراعات والاكتشافات والتقدم والرقى المدني والحضاري مما دفع بها الى العمل على اكتساح الاسواق الخارجية لترويج منتوجاتها داخل اقطار ما وراء البحار، والسعي الى استيراد المواد الخام منها لتنمية اجهزتها الصناعية زيادة على سعيها لبسط نفوذها السياسي والاقتصادي على ما يعرف اليوم بشعوب العالم الثالث (9).

وعلى عكس ذلك كان العالم الاسلامي يسير من سيء الى اسوأ اذ تدهورت احوال دوله بتدهور احوال الخلافة العثمانية بوصفها زعيمة له. فأصابها الوهن وأُلت بها امراض الهرم والشيخوخة (10) واصبحت تعيش على مخلفات الماضي وعدم القدرة على متابعة المستجدات الحضارية الجارية في ديار امم الغرب فصح عليها نعت «الرجل المريض» الذي انعكس مرضه على بقية الولايات العربية الراجعة له بالنظر.

ولم يختلف حال الايالة التونسية كثيرا على احوال بقية تلك الولايات في الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية نظرا لارتباطها الديني الروحي بقاعدة الخلافة في اسطنبول ونظرا كذلك للرواسب الموروثة عن الحكم العثماني المباشر والتي تتجلى مظاهرها في دواليب الادارة واساليب الحكم المطلق وفي التبعية السياسية لسلطين الاستانة (11).

على انه من الطبيعي ان تكون للقطر التونسي ظروفه الخاصة التي تميزه عن غيره نتيجة لموقعه الجغرافي الذي يقربه من أوروبا الامر الذي يساعد الدول الأوروبية عامة، وفرنسا خاصة على زيادة الطمع فيه، ومحاولة الاستيلاء عليه واستغلال موارده (12).

والدارس المتفحص لما كانت عليه احوال البلاد التونسية في القرن التاسع عشر وخاصة في النصف الثاني منه - يدرك مدى ضعف نظام البايات بها، وعدم مناعة أمنها، وانخرام اقتصادها وتفكك مجتمعها، وسعي القوى الأجنبية للسيطرة عليها (13).

ومرد ذلك راجع الى عوامل داخلية وأخرى خارجية. ففي المجال الداخلي. يجد الدارس نفسه امام نظام ملكي - مطلق اذ كان يحكم البلاد باي ينتمي لعائلة اغريقية الاصل (14) تسلمت السلطة سنة 1705.

وكان البايات الحسينيون يتوارثون السلطة الاكبر فالأكبر في ظل جو متشنج بالفتن والاضطرابات مثلما حدث في عهد الحسين بن علي مؤسس الدولة وكبير العائلة المالكة وابن اخيه وما لاقته الايالة من تطاحن وحروب بين انصارها من حسينية وباشية (15)، وما نجم عن ذلك التطاحن من انكفاء للخلافات والضغائن والاحقاد بين العروش المناصرة لصف دون آخر.

ورغم تبعية البايات الشكلية للباب العالي باسطنبول فان الواحد من

هؤلاء كان في حقيقة الامر مستقلا «فهو يجمع السلطتين التشريعية والتنفيذية وبماكانه النظر في مختلف القضايا العادلة، وتعتبر القرارات والمراسيم التي يصدرها قانونا نافذ المفعول. ورغم ما كان يتمتع به الباي من نفوذ مطلق فان السلطة الفعلية كانت بين يدي الوزير الاكبر الذي يباشر تسيير شؤون المالية والخارجية للولاية يساعده في الادارة العامة للبلاد وزير للداخلية ومستشارون يرأسون الاقسام الى جانب وزير الحرب ووزير البحرية» (16).

أضف الى كل ذلك ما كان عليه البايات من نقص في التكوين والضعف في الادارة والخمول فقد كانوا في معظمهم قليلي الاكتراث بالشؤون العامة للبلاد تاركين السلطة -حاشيتهم ووزرائهم ونوابهم في مناطقهم. ولم يكن هدف هؤلاء الممالك سوى جمع الاموال وتكثيف ارهاق الرعية والزامها باستخلاص الضرائب والمكوس المصحفة كما يشير الى ذلك ابن ابي الضياف حين لاحظ ان الواحد من ملوك الاطلاق يشجع عماله وحاشيته على اطلاق اليد في الرعية لاجل الجباية تصديقا لقول الشاعر:

وراعي الشاة ينفي الذئب منها فكيف اذا الذئب لها رعاء (7)

ومما زاد الطين بلة سياسة التبذير والاسراف في النفقات التي كانت تسلكها حكومات البايات المتعاقبة مما ادى الى افلاس الخزينة وعجزها الفادح عن تلبية تلك النفقات ولم يكن هناك من سبيل سوى ولوج باب الاقتراض، ولم تكن هناك اموال طائلة تفي بتسديد تلك القروض مما اضطر الدولة الى الجالية الأوروبية المستقرة في البلاد لتتقترض منها ولتقترض من البنوك الأجنبية (18).

وتكرر ابرام القروض المرة تلو الاخرى مما دفع بالقناصل الاجانب الى التدخل في سياسة الدولة (19) وخاصة الاقتصادية منها وفي الناحية التجارية بالتحديد.

وأصبحت الجالية الأوروبية تتولى التصدير والتوريد. وامام هذا الضعف والوهن السياسي والتفكك الاجتماعي، والتدهور

الاقتصادي فتح الباب على مصراعيه لقناصل الدول الاجنبية (فرنسا، انجلترا، ايطاليا) وخاصة في عهد محمد باي الذي حكم البلاد لفترة قصيرة (1856 - 1859) والتي ظهر فيها عهد الامان (1857) بتأثير من القناصل الاجانب مثلما سيأتي توضيحه بالاضافة الى ما عرفت البلاد في عهد محمد الصادق باي (1859 - 1882) من أزمة اقتصادية واجتماعية حادة ناجمة عن التأثيرات الخارجية من ناحية، وما عرفت البلاد من سنوات عجاف قُل فيها المحصول الزراعي وتفشّت فيها الامراض المهلكة كالكوليرا التي مات بسببها خلق كثير، الامر الذي ادى الى عدم الاستقرار وانخراط الامن الداخلي. (20) اضف الى ذلك ما لحق الرعية من التعذيب من قبل اعوان الباي وعماله ورجال جبايته وماليكه والاقطاعيين والسماسرة والانتهازيين.

كل تلك الازعاج الاجتماعية المتردية التي كان يعيشها ابناء الشعب التونسي دفعت بهم الى التمرد والعصيان المدني والثورة على الطغيان والظلم والالتفاف حول القائد الثائر علي بن غداهم سنة 1864 م.

فنقد لبث القبائل نداء الثورة وسعت جاهدة الى الخلاص من الحمل الثقيل ومن القيد الذي كبلها لسنوات طويلة والى كسر الطوق من حولها والى الاجهاز على كل ما يعيق الى سلطة الباي بصفة.

اطلق الثوار من انصار علي بن غداهم لقب "باي الشعب" على قائد الثورة فلبى نداءهم وساند امرهم في البداية بحكمة ودراية وتخطيط محكم ولفت الانتظار اليه في الداخل والخارج وذلك بشهادة القناصل الاجانب الذين كانوا يراقبون الوضع عن كثب ويتابعون تطور احداث الثورة لحظة ... لحظة كما توضح ذلك وثائق الدولة التونسية وكما صور ذلك صاحب الانصاف (21).

وكان علي بن غداهم يخاطب الجماهير الغاضبة والثائرة على الظلم والاضطهاد «لا خلاص لكم من ثقل هذا الحمل الا اذا جمع الله كلمتكم على الامتناع (22) ويبين انهم محقون في الدفاع قائلا: «المور الذي يحميننا ويقيننا هواننا مظلومون» (23).

وبينما كانت الثورة تنمو وتتوسع. كانت الدساتيس تحاك حول قصر باردو، از منذ الايام الاولى تدخل القنصل الفرنسي بشراسة في شؤون

البلاد الداخلية وحاول الضغط على الباي. وتدخل القنصل الانجليزي "وود" "Wod" بدوره، ودخلت ايطاليا المعمة. فتدخلت المصالح وتصاربت على حساب ابناء البلاد - مثلما سيجيء في موقعه من البحث.

ابن ابي الضياف والنشاط القنصلي الاجنبي:

ولنا ان نتساءل بعد هذا كله عن موقف ابن ابي الضياف من نشاط البعثات الاجنبية ممثلة في قناصلها؟

تجدر الإشارة الى ان اول ما يصادف الباحث في شأن البعثات الاجنبية بتونس، النشاط القنصلي في بداية القرن التاسع عشر - والذي تهادى فيما بعد يرجع اساسا الى دولة حمودة باشا باي (1782 - 1814) الذي كان يحرص في سياسته الخارجية على ابراز سيادة تونس وذلك عن طريق تنمية الصداقات مع الدول التي تهمة وذلك بابرار المعاهدات معها وباعتماده سياسة الاتصال المباشر مع معظم تلك الدول بواسطة سفرا ثم ومبعوثيه (24).

ولقد اتسعت في عهده دائرة التمثيل الاجنبي اذ صار بتونس قناصل معتمدون لدولهم يشتهرون على حتاية مصالحها التجارية مع العمل على ارضاء الباي وتحاشي غضبه. وكان من اهمهم قناصل فرنسا واسبانيا والولايات المتحدة الامريكية وهولندا والدانمارك والسويد (25) فضلا عن عن تركيا.

وكان حمودة باشا يبرم مع هذه الدول اتفاقيات ومعاهدات عديدة ترمي اولا وقبل كل شيء الى مصالح تلك الدول وتحقيق مصالح اقتصادية وسياسية معها بالاضافة الى اكساب هبة للدولة في الخارج. (26) وقد تعرض ابن ابي الضياف الى ذكر البعض من تلك المعاهدات في ثنايا الاتحاف (27).

والمتتبع لما سجله صاحب الاتحاف في ثنايا الكتاب فيما يخص علاقات تونس ببعض الدول الاجنبية (تركيا، فرنسا، انجلترا، هولندا...) وخاصة فيما يتعلق بنشاط بعثاتها الدبلوماسية ممثلة في قناصلها الذين كانوا بعثابة العيون والجواسيس العاملين لفائدة بلدانهم يلحظ اهتمامه الكبير

بما كان يشوب تلك العلاقات من كدر التوتر أو الحروب أو الانفراج من ناحية، وتسجيله لما كان يصدر عن أولئك القناصل من أعمال ودية أو غير ودية تجاه البلاد والعباد. كيف لا وهو السياسي الماهر الذي تقلب في مناصب عديدة وكلف بمهمات دبلوماسية خارج الأيالة إذ وقع إيفاده الى اسطنبول في ماي 1831 لطلب الأذن في تكوين عسكر نظاميا والاعتذار عما وقع للباي من موالة للفرنسيين في قضية الجزائر بعد احتلالها (28).

كما وقع ارساله مرة ثانية سنة 1842 للدولة العثمانية في شأن التنظيمات التي حاولت تونس التمتع من تطبيقها (29) وقد لاقى في جملة من لاقى شيخ الاسلام احمد عارف باي الذي شرح لعلامتنا فحوى تلك التنظيمات وبين له مدى موافقتها للشريعة الاسلامية (30).

وقد بدأ ابن ابي الضياف الموقد الرسمي للباي خلال محاورته مع احمد عارف سياسيا مرنا مدافعا عن وجهة نظره بما لديه من حجج فاذا نقضها عارف حكمت لم يلتجئ الى العناد (31).

كما سافر صاحب الاتحاد مع الباي احمد في زيارته لفرنسا سنة 1846 مما ساعده على الاطلاع على مدنية ورقى الافرنج والتعرف على طبيعة النظم السياسية القائمة على العدل والانصاف والحرية الامر الذي وسع من دائرة معارفه واكسبه القدرة على المقارنة بين طبائع الانظمة التي ضمنها مقدمة الاتحاد وقد حاصرها في ثلاثة اصناف (33).

1 - الصنف الاول: الملك المطلق

2 - الصنف الثاني: الملك الجمهوري

3 - الصنف الثالث: الملك المقيد بقانون

وبحكم تولي ابن ابي الضياف لخطط سياسية متعددة داخل البلاط كان على دراية بشؤون قناصل الدول الاجنبية الذين كانوا على اتصال بالبايات وكانوا همزة وصل بينهم وبين دولهم التي تعتمدهم لديهم. ذلك ان التمثيل الدبلوماسي يهدف الى تحقيق مهام عديدة تتمثل اساسا في توثيق الروابط السياسية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية وكذلك انهاء حالات التوتر بين الشعوب..

غير ان ما كان يقوم به القناصل الاوروبيون كان يتعدى تلك المهام الى

اغراض اخرى مثل التدخل في شؤون البلاد الداخلية - وخاصة الاقتصادية والسياسية منها - اذ كان التنافس على اشدّه بين الانجليز والفرنسيين والطلبان زيادة على نفوذ الباي العالي مما ادى الى تغلغل التدخل الاجنبي في البلاد.

ويتجلى تصوير ابن ابي الضياف لأخطار ذلك النفوذ الاجنبي ممثلا في تدخلات القناصل في سياسة بايات تونس تدخلات لم يسمع بمثله في القرون الغابرة. وخاصة في عهد المشير محمد باشا باي (1855 - 1859) الذي عرف باستبداده المطلق وبجرأته على سفك الدماء الامر الذي جعل قناصل اوروبا يتذرعون بما كان يرتكبه من اخطاء القتل وخاصة حادثة قتل اليهودي الذي اعتدى بالثلب على دين الاسلام ووقع تنفيذ الحكم عليه رجما بالحجارة وذلك اثناء عام 1857 وقد اعتبر اولئك القناصل الحكم جائرا وطالبوا الباي بضمانات من طرف الدولة تكفل عدم تكرار مثل تلك الحادثة المؤلمة. وقد اقبلت وحدة من الاسطول الفرنسي وارست بعيناء حلق الوادي للضغط على الامير حتى يستجيب لمطالب القناصل (34).

ولم يجد محمد باشا باي مخرجا سوى الوعد الصريح باجراء اصلاحات تفي بما طلب منه فكان صدور قانون عهد الامان الذي ضمن الحقوق للجنالية الاجنبية القاطنة بالبلاد بتأشيل عن قناصل بلادها <http://www.ancient-tunisia.com> وقد صور ابن ابي الضياف تلك الاحداث تصويرا رائعا مزوجا بالنقمة والسخرية في آن واحد مجليا كيف كان القناصل الاجانب لا يتورعون عن التدخل في كل صغيرة وكبيرة.

فهذا القنصل الفرنسي يغتنم حادثة قتل اليهودي ويضغط على الباي لاعلان دستور عهد الامان ويبين له جرم الخطر الذي اقدم عليه واخذ يعدد له احكاما اخرى مماثلة صدرت منه باستعجال ومن غير روية. واليك ما أورده ابن ابي الضياف في هذا الصدد: «لما وصل الحال الى حد بقاؤه من المحال، اتاه قنصل الفرنسيين ليون روش وقال له: «ان محبتي فيك وفي بلادك حملتني على نصحك» وأخذ يعدد له احكاما صدرت منه باستعجال من غير روية ولا اعمال فكر في الحقوق... حتى ظهر له انه نصحه، فعزم على جعل مجلس للحكم في الجنايات وكاتب بذلك مجلس الشريعة والداي ومشايخ

البلاد الثلاثة وغيرهم...» (35).

ويلاحظ ابن أبي الضياف أن القنصل قال للباي: «لا بد من قانون يكون ضامنا لذلك» (36).

ويعرض ابن أبي الضياف ما دار بين أمير الأسطول الفرنسي الذي أرسى بحلق الوادي لارهاب الباي واجباره على اصدار عهد الامان فيقول: «فأتى الأسطول الفرنسي أواخر أوت 1857 وبه نحو السبعمئة مدفع وأرسى بحلق الوادي فتحير الباي وذهبت نفسه كل مذهب ونزل أمير هذا الأسطول ومعه اعيان ممن معه واجتمع بالباي ببستانه بالمرسى وقال له: «أنتي عن إذن سلطاني، أتيت بهذه القوة لاعانتك على من يخالف امرك في اعطاء الحرية لرعييتك والمن على انفسهم واموالهم واعراضهم واديانهم وحاشا مثلك ان يغضب على العدل وهو من اصول ملتكم وانت تعلم انه يلزمك ان تكون كالدول... واطلب منك التعجيل بالجواب وان ما اشرت به عليك انفع لسياستك وسياسة دولتنا معك» (37).

ومن الغد يجيء قنصل الانجليز مهددا الباي وداعيا اياه الى ضرورة التعجيل باصدار عهد الامان.

ويورد صاحب الاتحاف وقائع ذلك التهديد قائلا: «ومن الغد جاء قنصل الانجليز واسمه ريشارد هود ويده مكتوب له من دولته مضمونه مثل مضمون كلام أمير الأسطول وطلب الاجتماع بالباي فقايله ومعه رجال دولته وقال لي الباي «كلعه انت فيما يتعلق بأمر الدين»... وتلكم مع الباي في عرض النصيحة... وقال له اذا سمعت نصيحتي فبادر الى هذا الامر، لان اسطولنا في مالطا ينتظر جوابي...» (38).

وسارع الباي الى القبول غير مفكر في معنى ما التزم به وكلف ابن أبي الضياف بإنشاء مكتوب عهد الامان وقبل هذا الاخير وأعد مسودة القانون المطلوب (39).

ومن الغد حضر الباي واعيانته كما حضر قنصلا الفرنسيين والانجليز واطلع جميعهم على النص، وقد استحسنه القنصلان واخذ قنصل الفرنسيين نسخة منه للتأمل فيه قبل قراءته في الموكب المنتظر. ووقع الاتفاق على منشور عهد الامان بحضور قناصل الدول والاميرال

الفرنسي(40).

وقد سجل ابن ابي الضياف وقائع قراءة منشور عهد الامان ملمحا الى تدخل قناصل الاجانب وذلك من خلال استدعاء الباي لهم وحضورهم الى قصر باردو وليشهدوا الحدث وليجنوا ثمرة تدخلاتهم وفي هذا الغرض يقول صاحب الاتحاف: «وقع الاتفاق على قراءته ضحى يوم الاربعا العشرين من محرم سنة 1274 هـ/سبتمبر 1857 م فاستدعى الباي سائر اهل المجلس الشرعي، واعيان الدولة، وأمير الاسطول ومن معه من الاعيان وقناصل الدول وكبير الاساقفة والرهبان واحبار اليهود وغيرهم من اعيان الوافدين... وكان المشهد بالبيت الكبرى بصراية باردو» (41).

وقد جاء عهد الامان في احد عشر بنداً كما يلي (42):

1 - تأكيد الامان لسائر رعيقتنا وسكان إيالتنا على اختلاف الاديان والالسنه والالوان في ابدانهم المكرمة وأموالهم المحرمة واعراضهم المحترمة الا بحق يوجبه المجلس بالمشورة ويرفعه اليقيا، ولنا النظر في الامضاء أو التخفيف ما امكن أو الاذن باعادة النظر.

2 - تساوي الناس في اصل قانون الاداء المرتب أو ما يترتب.

3 - التسوية بين المسلم وغيره من سكان الايالة في استحقاق الانصاف.

4 - الذمي لا يجبر على تبديل دينه ولا يمنع من اجراء ما يلزم ديانتة ولا تمنع مجامعهم ويكون لها الامان من الاذية والامتهان لان ذمتهم تقتضي ان لهم مالنا وعليهم ما علينا.

5 - تحديد المدة العسكرية مع اجراء القرعة.

6 - تكوين محاكم للنظر في قضايا الاجانب فقط.

7 - تكوين محاكم تجارية خاصة بالاجانب.

8 - المساواة بين المسلمين وغيرهم.

9 - السماح لكل فرد في الاتجار في كل شيء.

10 - تمكين الاجانب من شراء الارض.

11 - تمكين الاجانب من احتراف كل الحرف.

ويلاحظ ابن ابي الضياف مدى اهتمام القناصل الاجانب بنص عهد الامان وخاصة القنصل الفرنسي الذي ترجم بنود القانون بالفرنسية

بالنسبة لمن لا يعرف العربية وقد وزعت نسخ منه على سائر قناصل الدول المعتمدة. وهذا نص ما ضبطه صاحب الاتحاد في هذا الشأن: «ولما تمت قراءة العهد في ذلك المشهد تقدم قنصل الدولة الفرنسية وترجم قواعده ومضمونه في ذلك الموكب. وكذلك تكلم كبير الاساقفة... واعطيت نسخة لأمير الاسطول ليلفلها لدولته وبعثت لكل قنصل من قناصل الدول نسخة منه مصححة بخط الباي وختمه» (43).

غير ان ابن ابي الضياف يلاحظ ان قانون عهد الامان بقي حبرا على ورق ولم يطبق في قصر الباي قائلا في شأن امر الباي في الحكم بقتل رجل في الحين قبل ان يسمع منه الجواب: «وظن الباي ان المراد بعهد الامان قد تم بوجود حروفه في الصحف المنشورة والامر وراء ذلك» (44).

ويلاحظ صاحب الاتحاد كيفية غضب القنصل الفرنسي لهذا التصرف وكيف يتدخل بقوة لدى الباي ويحاججه بشدة مبينا له ان فرنسا لن تسكت على نقض عهد الامان وعدم الالتزام بما جاء فيه فيقول مؤرخنا ما نصه: «ارتضى لهذا الامر قنصل الفرنسيين وقال للباي: «قد بعثت بنسخة من عهد الامان مصححة بخطك ومطبوعة بختكم الى دولتي مع امير اسطولها وأشهدتني وأنا نائب سلطاني كما شهدت امثالي. اتسخر بالدول ام بالتزاماتك وما ضرك ان هذا القاتل يبقى في السجن الى ان يقتل على نهج حق او قريب منه؟ ولا نرى ان دولتي تسكت عن ذلك اعتبارا لمقامها» (45).

ويعلق صاحب الاتحاد على تصرف الباي المطلق واستخفافه بقتل النفس دون روية شأنه في ذلك شأن سائر ملوك الاطلاق الذين يقول فيهم: «يستصغرون في العقاب ضرب الرقاب ويستعصمون في الثواب رد الجواب» (46).

ويعرف تدخل القناصل الاجانب أوجه في الشؤون الداخلية ابان ثورة علي بن غداهم اذ تتنافس القنصليات والسفارات من أجل الامتيازات فتتحرش بالبلاد وبالعباد ويعمد كل قنصل الى مراقبة الوضع عن كثب ويسعى الى كسب الموقف لصالح دولته وذلك بالتقرب من الباي اكثر فاكثر. ويصور احد الدارسين المحدثين تلك الوضعية قائلا: «وبينما كانت الثورة

تنمو كانت الدسائس المعقدة تحاك حول قصر باردو، فمنذ الايام الاولى تدخل القنصل الفرنسي ديبوفال بشراسة في شؤون البلاد الداخلية وحاول الضغط على الباي وتدخل القنصل الانجليزي «وود» بدوره، ودخلت ايطاليا المعمعة» (47).

وفي هذا الجو المشحون بالرغبة والدسائس والاطماع المتنافسة كانت العلاقات تتوتر بين ممثلي الدول الاوروبية فالفرنسي يراقب البريطاني ويخشى التركي ولا يثق بالنوايا الايطالية وفي نفس الوقت يحاول استعمال الثورة ليثبت مكانته كالحارس الوحيد لتونس، اما البريطاني فانه يسعى الى اجتناب تدخل اوروبي ويحتال في منع نزول القوات الى الارض فيستعمل الايطالي ضد الفرنسي ويعمل في نفس الوقت على تنشيط ما عساه ان يصدر من جانب ايطاليا من مبادرة ويغتنم فرصة وجود المبعوث التركي فيعمل على تقوية تونس بالباب العالي. وكان الايطاليون يخشون على الاخص ان تصبح تونس ولاية للجزائر فيقاوضون مع الانجليز لمنع فرنسا من انزال قوتها الى الارض وحدها...» (48).

كل هذه المناورات والاطماع المتشابكة المعقدة الممتدة عروقها امتدادا يصل باريس ولندرا وطورينرو وقسطنطينية جعلت تسير سيرها وتطور تطورا سريعا جعلت تونس تتساءل في خيرة عما تضمه لها الدول الاجنبية من تهديد وكيد يأخذها الجزع مما من شأنه ان يؤدي الى نزول قوة اجنبية من البحر بارضها» (49).

وامام هذا الوضع المتردي الذي دفع اساطيل فرنسا وتركيا وانجلترا وايطاليا الى التسابق والتزاحم والتنافس لتحقيق مكاسب سياسية نفعية عاجلة لدولها ترى ابن ابي الضياف يستشرف المستقبل المساوي لنهاية الالة التونسية في عهد محمد الصادق باي اعني وقوع البلاد تحت الاحتلال سنة 1881 نتيجة لتلك الاوضاع الداخلية والتدخلات الاجنبية والتحركات القنصلية قائلا: «فانت ترى جواب القنصل الفرنسي واصراراه على ان يطلع على كل ما ينوي الباي القيام به ومفاده الامتحان والجذب الى الاستيلاء على هذا الصقع الضعيف حسا ومعنا بلا مشقة ولا جيش حقيقي سوى جيش التخيل والخطابة والترغيب والترهيب» (50).

الهوامش

- 1 - راجع ما أورده الأستاذ المنصف الشنوفي في مقال له بعنوان: «فن الرحلة عند خير الدين بعض الجوانب» ص 16 والمعد لماثوية خير الدين تونس - ديسمبر 1990.
- 2 - راجع مقال الدولة التونسية ومعوقات النهضة في القرن الماضي ص 4 من العمل الثقافي بتاريخ 4 أبريل 1983 للدكتور المنجي الكعبي.
- 3 - د. معن زيادة، مقدمة اقوم المسالك في معرفة احوال الممالك خير الدين التونسي، ص. 15، دار الطباعة والنشر بيروت 1978.
- 4 - ابن أبي الضياف، انتحاف اهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الامان، 157/111/5، الجزء المخصص لثورة علي بن غداهم، وراجع كذلك ما أورده جان غانيان في كتابه... ثورة علي بن غداهم 1864، ص 2811.
- 5 - راجع ما أورده الباحث عبد الباقي الهرماسي في مقالة:
Les réformes de Résistance à l'impérialisme (une réimplantation sociologique) P: 1-8.
المقدم لاشغال ملتقى تاريخ الحركة الوطنية المنعقد في ماي 1981 بمسيسيدي ابي سعيد.
- 6 - انظر ما ورد في كتاب... وثائق تونسية، ثورة علي بن غداهم «مقدمة الكتاب ج/أ/ص: ج»
نشر الدار التونسية للنشر 1973.
- 7 - راجع ما أورده الأستاذ رياض المروقي في مقالة «احمد ابن أبي الضياف ص 21- 13 ضمن قسم اعلام بدائرة المعارف التونسية الكراس 1/1990، نشر المؤسسة الوطنية (بيت الحكمة) قرطاج تونس.
- 8 - د. احمد عبد السلام: ابن أبي الضياف حياته ومنزلة، ص. 22، الدار العربية للكتاب تونس 1984.
- 9 - وثائق تونسية 12/ص "1" من المقدمة.
- 10 - وثائق تونسية 1/ص "1".
- 11 - د. جلال يحيى، المغرب العربي والاستعمار، ص. 33 سلسلة المكتبة الثقافية عدد 164.
- 12 - المصدر نفسه.
- 13 - راجع مقالنا بعنوان «واقع البلاد التونسية في ظل ثورة علي بن غداهم، ص 3 والمقدم لاشغال ملتقى... علي بن غداهم المنعقد في أبريل 1991.
- 14 - الأستاذ علي المجوبي، انتصاب الحماية بتونس، ص 8 - تعريب عمر بن ضوء، حليلة قرقوري وعلي المجوبي، نشر دار سراس للنشر، تونس 1986.
- 15 - راجع ما أورده ابن أبي الضياف في الانتحاف 22/ص 105- 140 وما أثبتته الأستاذ: علي الشنوفي في مقاله: أعضاء عن بعض انماط الحياة لدى العشائر والقبائل بمنطقة التل العالي التونسي في العهد التركي والعثماني 1574 - 1881 - ص 98/102 من كتاب «بناء المغرب العربي» نشر CRES، تونس 1983.
- 16 - علي المجوبي، انتصاب الحماية ص 8.
- 17 - ابن أبي الضياف، الانتحاف 12/ص 26.
- 18 - راجع مقال الباحث عبد الباقي الهرماسي:
Les réformes de résistance à l'impérialisme ص. 1 - 4.

- 19 - المصدر نفسه.
- 20 - انظر ما جاء في مقال الاستاذ محمد الهادي الشريف بعنوان:
Limites des résistances civiles à l'occupation française de la Tunisie en 1881: p:2
- 21 - ابن أبي الفدياف، الاتحاف 121/5.
- 22 - المصدر نفسه، 121/5.
- 23 - المصدر نفسه 122/5.
- 24 - راجع ما أورده الدكتور رشاد الامام في كتابه سياسة حمودة باشا في تونس ص408، منشورات الجامعة التونسية 1980.
- 25 - المصدر نفسه 414.
- 26 - المصدر نفسه ص. 406 - وراجع كذلك تنوع تلك المعاهدات بتنوع الدول من ص. 407 الى 412.
- 27 - راجع على سبيل الذكر ما جاء في الاجزاء (الاتحاف) ج. 3/ص 20، ج. 3/ص 35.
- 28 - د. احمد مبد السلام، ابن أبي الفدياف - حياته ومنزله ومنشقات من آثاره ص.9.
- 29 - راجع ما أورده الباحث محمد محفوظ في كتابه ابن أبي الفدياف نظرات في تاريخه ص.44 دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع تونس 1983.
- 30 - ابن أبي الفدياف حياته نظرات في تاريخه، ص. 14 وانظر كذلك ما أورده الباحث الصادق الزمرلي في كتابه.
Les Précurseurs, Edition Bouslama, P:76, Tunis 1979.
- 31 - المصدر نفسه ص. 76.
- 33 - الاتحاف ج. 1/ ص 7 - 43 نشرة ثانية الدار التونسية للنشر 1990.
- 34 - وثائق تونسية "ثورة علي بن غداهم" الجزء الأول، ص "هـ" من المقدمة.
- 35 - الاتحاف 260/4، نشرة ثانية - الدار التونسية للنشر 1990.
- 36 - المصدر نفسه.
- 37 - الاتحاف ج. 4/ ص 261 - 262.
- 39 - المصدر نفسه 266/4.
- 40 - المصدر نفسه 267/4.
- 41 - الاتحاف 267/4.
- 42 - المصدر نفسه 209/4 - 270.
- 43 - الاتحاف 272/6.
- 44 - المصدر نفسه 272/6.
- 45 - المصدر نفسه 272/6 - 273.
- 46 - الاتحاف 273/4.
- 47 - بيثي سلامة، ثورة ابن غداهم ص 91 الدار التونسية للنشر 1967.
- 48 - ب. سلامة، ثورة بن غداهم ص. 100.
- 49 - المصدر نفسه، ص. 101.
- 50 - الاتحاف 73/5.

الزوايا في تونس

بحث في التغيرات الثقافية بالقرية التونسية

بقلم : الأستاذ محمد بالراشد

يقول حلمي بركات : « إن مزارات الأولياء والقديسين تكثر في القرى وتمتزج طقوس عبادتها بطقوس الطبيعة عند مختلف الطوائف " المجتمع العربي المعاصر " * * * * *

تعتبر ظاهرة الأولياء ومزاراتهم ميزة للقرى العربية عامة ففي هذه القرى تنتصب قباب وأضرحة الأولياء يقبل الناس عليها لزيارتها والتبرك بها ، يقدمون إليها " الوعدة " أي ما نذر إليها بمعنى ما وعِدَ به الولي . وتنتشر ظاهرة الأولياء بالجنوب التونسي إذ يقول محمد المرزوقي في كتابه " مع البدو في حلهم وترحالهم " ص « فلا تكاد تدخل قرية حتى تظهر لك قباب أضرحتهم صغيرة وكبيرة إلى جانب علامات تتمثل في دوائر وفي زوايا وأركان تجمعت فيها قناديل عتيقة من الفخار » .

تتنظم زيارات الأولياء حسب ما نذر في بداية الأمر ، فهناك من يجعل من زيارة الولي عملا سنويا وهناك من ينذر لمدة واحدة وفي نفس الوقت يختلف شكل التعامل مع الولي ، من الفرد إلى العائلة فالقرية مثلاً لاحظ ذلك عالم الاجتماع الفرنسي جون ديفينيوي في دراسته لقرية شبيكا بالجنوب التونسي إذ يقوم أهالي القرية كل سنة بحفل سيدي سلطان يعرف باسم " الزدة " أي الوليمة . وضمن هذا الشكل القروي للتعامل مع الولي تدرج محاولتنا في تبين التغيرات الثقافية من خلال دراسة " الأيام الثقافية لسيدي التومي " بقرية كنانة بالجنوب الشرقي التونسي

في البداية لابد من الإشارة إلى أن هذه القرية الفلاحية تقع على الطريق
الرابطة بين مدين وقابس وعلى مسافة 18 كلم من هذه المدينة الأخيرة . وهي
الطريق ذاتها الرابطة بين تونس وليبيا . وهذه القرية دأبت على زيارة سنوية فسي
منتصف كل خريف موعد جني الرمان الذي عرفت به هذه القرية . وفي هذا الفصل
تشرئب أعناق الفلاحين إلى السماء تراقب تحركات السحب فتفرح لتلبدها وتحزن
لانتشارها .

إن موعد هذه الزيارة يأتي مع موسم الجني فهي بذلك طريقة لاستغلال " جاء
هذا الولي عند الله للتعبير عن شكر أهالي القرية وثنائهم على الله . وهي كذلك
تأتي مع بداية موسم فلاحي جديد . إنها ثنائية الشكر والاستجداء ، ثنائية الحمد
والدعاء ، ألم يرد في القرآن " لئن شكرتم لأزيدنكم " . لكن هذا الشكر يأتي عبر
الولي المجمع حوله ليتحول رمزا لتجاوز الخلافات ، ورمزا للإتحاد والوفاء لمبادئ
الولي ذاته .

لكن ما يلتفت الانتباه هو تحول هذه الزيارة السنوية إلى مهرجان ثقافي ، إلى
أيام ثقافية تمتد على ثلاثة أيام " فتنصب الخيام من حول الولي ويشترك الأهالي
في دفع ثمن الحيوانات التي بلغ عددها هذه السنة 12 شاة تذبح وتوزع على
الزائرين .

لقد حافظت هذه الزيارة على طابع الزردة لكنها عرفت تغيرا في طبيعة
الاحتفال ، لم تعد الزيارة طقوسية ، تعبدية بل أخذت منحى إحتفاليا حيث يقوم
المسؤولون الجهويون بحضور الحاضرة التي كانت تنشد خلالها مجموعة من المدائح
الخاصة بذلك الولي ويرقص كل من أصابه مس من الجن على نغمات الدفوف
والناي (1) . لكن اليوم تحول الرقص جماعيا ، والمجموعة التي تنشد هي كلها ترقص ،
لقد صارت الزيارة عرفا بعد أن كانت عادة إذ العرف هو ما استقر من العادة
حسب عبارة صاحب المقدمة . ومما يثير الانتباه هو أن هذه الزيارة لم تعد تستغل
لداواة المصابين بمس من الجن . لقد أضحت جزءا من مكونات تلك القرية التي

تعرف تحولات هامة اقتصادية واجتماعية .

فالزيارة صارت من لوازم أهل القرية ، كالفلاحة ، والمعهد والمسجد . فهي إبرازا لخصوصية القرية . والمشرفون على هذه التظاهرة من مستويات تعليمية مختلفة ومن مهام إدارية مختلفة أي أن القرية لم تعرف القطيعة مع أحد مكوناتها وهي تلك القبة المنتصبة في وسطها غير بعيدة عن المدرسة ، المسجد ، الحمام ، المتاجر والتي هي المجال الحيوي للقرية . فالقبة جزء من النسيج العمراني للقرية إضافة إلى أنها عمق ثقافي لأهاليها .

إن إستمرارية الزيارة وتجمع أهالي القرية بها وتغيير طابعها الطقوسي الاحتفالي يجعلنا نقر ببعض الحقائق أهمها :

- التغيرات في البنى الذهنية لأهالي قرية كنانة لم تكن غير متجذرة في العمق الثقافي للقرية .

- التغيرات في كل المجتمعات مترابطة ، فالحياة السياسية بما عرفت من تحولات ديمقراطية ، تلازمت مع دخول القرية معركة الاندماج في إقتصاد النقد وأيضا مع تحولات في المستوى التعليمي والثقافي وهذه التغيرات المترابطة ليست وليدة اللحظة ولا هي في قطيعة مع التاريخ ولكنه التاريخ المتحول وغير المنقطع .

- التغيرات التي عرفتتها هذه القرية ليست تغيرات هيكلية ، فهي لم تكن تحولا فجئيا ينتهي إلى الفشل لأنه لم يجد الأرضية الملائمة له . إن التغيرات الثقافية وفقا لذلك تندرج ضمن ما يعرف بتغيير التوازن الذي يشيد فيه الجديد ولكن يظل فيه القديم دور هام باعتبار أن التغيير هو بناء جماعي دائم وفقا لما يراه المفكر الفرنسي ميشال كروزييه . وهو أي التغيير بالنسبة إليه إستجابة لمجموعة شروط مادية واجتماعية وبالتالي التحول ليس في قطيعة مع الماضي .

أسالكم ... ماذا فعل العرب بتراثنا المخطوط

بقلم : محمد الصادق عبد اللطيف (ليبي)

من المصائب التي أصيبت بها المكتبة العربية أن بعض دول أوروبا (كفرنسا وبريطانيا وألمانيا وهولندا والروسيا) أخذت تجمع منذ القرن 17م كتباً من تراثنا تبتاعها من أسواقنا بواسطة وكلائها وقناصلها والأساقفة المبشرين ، وبالعمليات التجارية المشبوهة قام الغرب باستلاب المخطوطات العربية التي تمثل معظم الرصيد الثقافي والحضاري للأمة الإسلامية بهدف إحداث الانقسام الذي يريد منه اغتراب المسلمين المعاصرين عن ماضيهم .

يمكن تلخيص مساعي المستفيدين وجهودهم المبذولة حول المخطوطات العربية وخدمتها فيما يلي :

- (1) البحث عن هذه المخطوطات وجمعها ونقلها
- (2) حفظ هذه المخطوطات
- (3) وضع فهرس لها وتنظيم الاستفادة منها (سبق مقصود)
- (4) تحقيق بعضها ونشره (إشارة لعجز أصحابها وعدم قدرتهم العلمية)
- (5) نشر خلاصات عن بعض المخطوطات لها بغية تعريفها (كناية عن جهل أهلنا بها وبها يتوصلون إلى انتزاع الاعجاب منا بهم)
- (6) ترجمة بعضها إلى لغاتهم (ما يروق لهم منها فقط وما يخدم أغراضهم)
- (7) نسخ هذه المخطوطات أو تصويرها وتهريبها إذا لزم الأمر (للتفرد بها)

إن المخطوطات التي يهتم بها رجال الإستشراق وخاصة ويحاولون جمعها وتهريبها عبارة عن مصاحف ومذونات من علم التفسير والحديث والكلام والتصوف والشعر والأدب وعلوم اللغة والنحو والصرف .

المؤسف حقا أننا إذا أردنا أن نبحث عن تاريخنا ومخطوطاتنا علينا أن نذهب إلى الغرب ومكتباته ومنشوراته وفهارسه لأن الغرب في أنفسنا الدور القيادي للحضارة الشرقية بكل ما فيها من كنوز ... والجامعة العربية يمتنون عليها بمكرو فيلم فقط وعلماؤنا يستجدون المكتبات لتجود عليهم بمخطوط ما وقع تهريبه أو شراؤه أو سرقة من بلادنا العربية والإسلامية (أحد المصاحف بيع بـ 90 ألف جنيه استرليني ومخطوط آخر تاريخي بيع بالمزاد العلني في بريطانيا بـ (950) ألف جنيه استرليني !

إن تحول الحضارة من المشرق إلى الغرب قد صاحبه تهريب كميات كبيرة من تراثنا إلى خزائن مكتبات الغرب الكبرى (فرنسا مثلا تشتري من استانبول أنفس المخطوطات أو أثناء حملة نابليون على مصر أو أثناء احتلال الجزائر والمغرب) . الكنيسة ترسل الدارسين للبلاد الإسلامية والغربية وتحرضهم على أن يسلطوا الاهتمام بالدرجة الأولى على الجويسة ثم المخطوطات ، وفي الإحصائيات التالية نلمس المصيبة الكبرى التي أصيبت بها ثقافتنا وكتب عليها الجهل بها ونكرانها .

(1) روسيا استطاعت منذ إنشاء المتحف الآسيوي في بطرسبورج (لننبراد) سنة 1818 أن تدخل السباق الدولي على مخطوطات بمئات الآلاف من ذخائره إذ بلغ رصيد معهد شعوب آسيا التابع لأكاديمية العلوم للإتحاد السوفياتي السابق (12) ألف مخطوط في سنة 1963 منها (5) آلاف مخطوط عربي إلى جانب 7 آلاف مخطوط في مكتبات أخرى (لننبراد) .

(2) معهد الاستشراق في طشقند (8) آلاف مخطوط بالعربية

(3) بمكتبة فينا 10 آلاف مخطوط - بردية خطية عربية + 100 بردية خطية مصرية قديمة) .

4) في بريطانيا بالمتحف البريطاني مجموعة من البرديات والرفوف عربية الأصل من سقّاره والغفيم

5) في مانشستر كيوش المركز على المخطوطات الشرقية

6) في أكسفورد (94) بردية عربية

7) بفرنسا (بالوفر 306 برديات عربية تنتشر 22 بردية بالمكتبة الوطنية 790 مجلدا عربيا من (406) مخطوطه تقع في 296 مجلدا) والمكتبة الوطنية بفرنسا تعج بالمخطوطات المسروقة من تونس والجزائر والمغرب والشام واليمن والهند والسنتغال وموريطانيا . آلاف مؤلفة من الرصيد هناك يتمتع به الأجانب بل ويمتّون على الجالية العربية هناك رويوتجيه من أساتذتهم لخدمة مخطوط ما .

8) في إيطاليا عدد من البرديات

9) تشيكوسلوفاكيا عدد 897 بردية عربية

10) بولندا بها 49 بردية

11) الفاتكان آلاف من المخطوطات الهامة والتفيسة هناك ترقد ولا أحد بقادر على الاقتراب منها أو معرفة محتواها وعناوينها إلا ما تكرّم بها السادة القساوسة على المقربين منهم وفي اتجاهاتهم الأديولوجية خاصة .

12) بأمريكا - (مكتبة الكونغرس) العديد من تراثنا العربي والإسلامي وقع تهريبه إلى هناك واشتراؤه عن طريق أناس باعوا ضمائرهم الميئة للشيطان ، حتّى تمتلئ خزائن الغرب بنقائسنا الثقافية التي تعطيهم الثقافة ومصادرها وتحرمنا نحن أصحاب تلك الكنوز من معرفتها والانتفاع بها ، وقد يكبر بعضنا إقبالهم عليها وحفظها لأننا فرطنا فيها بالجهل والغباء وكانوا هم أسبق منا في خدمتها وطرحها على الجميع محققة مطبوعة فكسبوا بها الرهان الثقافي .

13) برلين (9) آلاف مخطوطه عربية و 2500 فارسيّة و 3500 تركية و 60 أردية (أوراق المصاحف عشرين نسخة تعود إلى عدة قرون خلت (القرون 17 -

16 - 15 - ميلادي) . الرحالة الألماني (انوارد) اشترى من اليمن 250

سنة 1922 بدأ المشترون يعملون في هذا التراث حيث إخرجت المطابع (ليوسف ثاخذ الألماني) تحقيقا لكتاب الحيل والمخارج ثم نشر كتاب الحيل في القزويني ثم الجامع الكبير لبروكلمان هو الآخر أخذ نصيبه من خدمة هذا التراث والقائمة طويلة والنبش فيها يجلب للنفس الغثيان والحسرة لما فرطنا وفرط أجدادنا في ذلك التراث العظيم .

في نيويورك - واشنطن افتتح معرض التاريخ الأمريكي معرضا عن القرآن الكريم تحت عنوان (كلمة الإسلام الالهية) . إنه معرض بالغ الأهمية لأنه يعرف الغرب ، الأمريكان بصفة خاصة بالإسلام ذلك أنهم ما يزالون في الظلام بالنسبة لمعرفةهم بالإسلام كأحدث الرسالات السماوية التوحيدية وآخر الديانات المنحدرة من تعاليم إبراهيم . هذا المعرض يحمل ويرفع شمعته في هذا الظلام ويمثل خطوه إلى مآل أحد النقاد في صحيفة واشنطن بوسط) في الاتجاه الصحيح .

لقد احتوى المعرض على 22 نسخة رائعة الخطوط من القرآن الكريم يرجع تاريخها إلى الفترة ما بين القرن 14 ، 18 ميلادي وقد سلطت عليها الأضواء بصورة أبرزت جمال الخطوط والنقوش الإسلامية على هوامش الصفحات (علقت ترجمات لبعض المعاني القرآنية الواردة في الصفحات - بعضهم كان يتطلع إلى عقد مقارنة بين معاني القرآن وبين أسفار الكتاب المقدس - كان البعض لا ينظر إلى الجانب الجمالي في الخط والكتابة والنسخ بقدر ما نظر إلى كل ذلك كنوع من الفن التجريدي) هاته المصاحف طبعت في مصر وإيران وتركيا) (الصباح 93/7/31 ترى ماذا عرضت المناطق العربية ودور الكتب على رؤاها من مخزونها الثقافي المخطوط ! ... لا شيء

- ماهي معارض المصاحف المخطوطة التي تقام في البلاد العربية سنويا ... لاشيء
إنها قضية تستحق المناقشة وإبداء الرأي فيها ... إذا الحسرة لا تفيد .. لكن
بالعزيمة والصبر والصدق نقهر الصعاب ونخدم تراثنا والعود به إلى ينباعه الصافية.

المنزوع العقلي في الأدب العربي القديم « محدداته ومجالاته »

(2)

بقلم : مجيد الشارني

ج - العقل والتجربة :

معرفيا ، كانت كل الاتجاهات العقلية في أدبنا العربي القديم صريحة في ربط مصير العقل بالتجربة والبرهان : " فليس ابن المقفع من عقل نظري محض أو ما يسميه هو (العقل الذاتي) بل عن عقل علمي أو حسب مصطلحه " العقل الصنيع " وهو نتاج التجربة الإجتماعية ينميه الأدب ويقويه المراس والمراة والترويض ومن ثم يبرز ابن المقفع أثر الثقافة بفهمها العام في بناء العقل وتثمينه فليس الأمر متعلقا بالعقل في مفهومه المطلق بل هو العقل باعتباره نتاجا للبيئة الثقافية والوسط الإجتماعي وطبيعة التنشئة وطريقة التربية وبذلك يتحقق مفهوم العقل الصنيع باعتباره جا معا بين ما هو فطري متأصل وما هو مكتسب " فالعقل الذاتي غير الصنيع كالأرض الطيبة الخراب " و " العقل كامن في الإنسان لا يظهر حتى يظهره الأدب وتقويه التجارب " . وعند الجاحظ يربط العقل ارتباطا عضويا بالبرهان فيبعد الفعل العقلي عن الإنسان وعن الرواية أي عن كل ما هو فردي متغير فالحكم للتجربة والقياس والحجة للعقل : ذلك الحاكم الذي يحكم بين الموجودات والأقوال فيكثر للشك وتكثر مجادلة الطرق الفكرية والأخبار ، فالعقل الجاحظي عملي ينشد المعرفة والشمولية والاطراد ولا يؤمن بالاتفاق لأن الجماعة قد تتفق على الخطأ مثل زعم ابن أبي العجوز وإسحاق بن أيوب ... على أن الدساس تلد فكل معرفة لا تحصل عن

طريق التجربة هي معرفة ظنية ، وهذا ما جعل العقل عند الجاحظ همزة وصل بين الإنسان والإنسانية باعتبار أن المعرفة لا يستأثر بها جيل أو عصر دون عصر بل هي حلقات متواصلة متكاملة ومتعاقبة وتغدو مع التجربة الحقائق العلمية حقائق وجودية أي تبرزهن على وجود الله وحكمته من خلال مخلوقاته .

وقد أحدث المعري انقلاباً جذرياً في أسس المعرفة لا سيما حين وضع العقل أساساً للموضوعية لأن بذلك يسعى إلى القضاء على تبعية الإنسان للمقدس الديني والمقدس السياسي :

" ولا تتبع ما يجرونك ضلالة إذا لم يؤيد ما أتوك به العقل ."

ولا يقبل المعري الوجود الإلهي إلا إذا خضع للقياس والعقل والاثبات :

" اثبتت لسي خالقا حكيما وليس من معشر نفقات ."

فالتجربة عند المعري هي التي تكسب الأنا المفكر موقعا من الكون هي تدشين لعصر جديد من حياة العقل وتاريخه لأن الحقيقة لا تقبل الاختلاف والتضاد فالأمر عند المعري بات جذياً وليس مجرد رغبة في الذهن فقط .

د - العقل والإنسان

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

ليس المقصد من هذا الحد الرابع من محددات العقل أن نعرف الإنسان مع تعريف العقل فذلك يتعارض مع مطلبين ألحنا إليهما في المقدمة : مطلب الغاية من هذا العمل فليس الغرض البحث في العقل ومجالاته من جهة فلسفية ومطلب البحث عن رؤية متماسكة للمنزع العقلي في الأدب العربي القديم بل اثبات العقل ماهية للإنسان عن طريق المقاصد الإصلاحية التي سعى إليها الأدباء العرب .

فكيف يحقق العقل جوهر الإنسان فعليا أو بلغة القدماء كيف يستكمل العقل الإنسان استكمالاً أخيراً ؟ إن ذلك يتم عندما يخرج جوهر العقل إلى الفعل .

فأنظر ما ينظم تأليف ابن المقفع من الأسباب - حسب الأستاذ علي الغضائوي - سبب العقل لا تكاد فقرة من الأدب الصغير تخلو من لفظ مسخدمه أو المتصرف به " والعقل من " أو " على العاقل أن ... " فضلا عن الألفاظ المشتقة من مادة تنتمي

إلى ما للعقل من مجال دلالة وكذا الأمر في الأدب الكبير أما في كلية ودمنة فقد استعمل لفظ العقل وما شابهه ما يربو على المائتي مرة . وليس يخفي على أهل النظر ما يتخلل رسالة الصحابة من تصور لصالح أمر النولة واستشراق لخير البلاد والعباد . فالعقل عند ابن المقفع كمال الإنسان ولم يرد ابن المقفع فصل الأخلاقي عن المعرفي والوجودي فهم ابن المقفع " هو الإصلاح إصلاح الفرد العاقل في علاقته الأفقية والعمودية أي علاقته بالناس وعلاقته بالله .. ونتيجة لذلك أمست السعادة القصوى عند الجاحظ نيل المعرفة العليا أي الاتصال بالعقل من حيث هو أحد كائنات العالم بل أن هذه السعادة كانت بديلا عن التاريخ السائد والطبيعية ذاتها فالجاحظ نظر إلى الإنسان من الزاوية المعرفية فدعاه إلى تعلّم الشك تعلما يحصنه من الوقوع في المغالط ويجعله قريبا من حكمة الله .

فالغاية أيضا من خلال الجاحظ الإنسان بما هو إنسان وبما هو عقل منفعل تتحدد هويته بمدى تلازمه مع العقل الهيلولاني أو العقل الفعّال ... ولا ننسى أن فكر الجاحظ يندرج ضمن المنظومة المعتزلية ويقوم على علم الكلام . أما الإنسان عند المعري فهو بعقله ويعقله فقط كائن ، وطاعة العقل تجلب الرحمة عند المسير والارساء ... وشر الناس من لا عقول لهم ... وتركيبية الإنسان العقلية عند المعري تحدد من خلال الوعي المنشود السياسي والديني والثقافي في مرحلة أولى ثم العزم على تجاوز ذلك الكدر إلى تأسيس منظومة قيمية تحترم الإنسان في مرحلة ثانية حتى يقول :

" الدين انصافك الأقوام كلهم وأي دين يأبى الحق إن وجدا .. "

مجالاته :

من المهم ، وقد وصلنا بالحديث إلى نقطة الحقيقة أن نميز بين عقل وعقول أو بين العقل والعقول ذلك أن اللغة العربية تستخدم نفس الدال " العقل " كاسم لفظي لفعل " عقل " وكذلك لتدل على الجهد المبذول لتوضيح العقل أو الأسباب التي تفهم وتبرّر من جهة وتستخدم الكلمة نفسها كمصدر يشير إلى المعقول أي ما قد أصبح

مفهوما يمتلك علته من جهة أخرى ...

وعلى هذا الأساس وإن اتفق ابن المقفع والجاحظ والمعري على اعتبار للعقل قوة استكشافية وبرهانية وتأصيلية فإنهم اختلفوا في أبعاد التعميل ومجالات العقل فكان بعدا سلوكيا مع الأول ومعرفيا مع الثاني وفلسفيا مع الثالث بمعنى أنهم نظروا إلى الإنسان من زوايا مختلفة ... وهكذا تشكلت عبر التاريخ نواة تتجاوز في رهاناتها الاستيعولوجية الحالة الخاصة للأدب العربي القديم ... إذ لم يعد المطلوب التنظير للعقل بقدر ما أمسى الانتقال من التنظير إلى التطبيق هو الغاية القصوى ، لذلك لم يهتم الجاحظ والمعري بتعريف العقل بقدر ما عنوا بالبحث في تجلياته العملية وغاياته الآنية والزمانية وكان حدّ العقل عند ابن المقفع يقوم على لحظة التجاوز فمفهوم العقل غامض مستتر لا يرى حتى يظهره الأدب وتقوية التجارب . فلمّاذا كل هذا الإلحاح على انطباق العقل وعلى مفهوم القطيعة بين منطقتين سائدتين ومرجوعين ؟ لعلّ ذلك يتوضّح من خلال توضيح مجالات المنزع العقلي في الأدب العربي القديم .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

1 - مجال الأخلاق :

تعني لفظة أدب في نظر ابن المقفع التهذيب الخلقي والرياضة النفسية لهذا أطلق ابن المقفع على كتابيه اسم " الأدب " لأنهما يتناولان أموراً أخلاقية في جوهرها . قال عبد اللطيف حمزة : " أن ابن المقفع يظهر فيهما كأنه معلم أخلاق يشرح في كتبه شرحاً يعتمد على العقل أكثر من اعتماده على الدين ... والخلق في رأيه يتصل بالعقل قبل كلّ شيء والعقل يميز بين الحسن والقيح يعرفهما بطبيعته ولو لم يدل عليها شرع أو فضيلة أو أخلاق ، وقد كان ابن المقفع واعياً بهذا المرمى يقول في مقدمة الأدب الصغير : " قد وضعت في هذا الكتاب من كلام الناس المحفوظ حروفاً فيها عون على عمارة القلوب وصقالها وتجليّة أبصارها وإحياء للتفكير وإقامة للتدبير ودليل على محامد الأمور ومكارم الأخلاق . " ويقول الأستاذ علي حمريت : " فالنزعة المثالية الطاغية على النظرة الإصلاحية عند

عبدالله ابن المقفع وعلى تصويره للمجتمع الأمثل والحاكم الأمثل وكذلك الإنسان الأمثل، وهذه الصبغة المثالية في مظاهر السلوك يجتهد في إرسائها وتكريسها في حكم في مجملها غير مادية هي روحية " مبنية على الرحمة وحب الخير ونهج الفضيلة ومساعدة الناس وتزيين بأبهى الفضائل .

هكذا يكون الهدف من العقل حسب ابن المقفع عقلنة السلوك ومن هنا لا يكون الإنسان عاقلًا إلا إذا سوف الهوى وأسعف العقل ... وقد شغل ابن المقفع بوضع دستور أخلاقي قيمى يقوم على مستويات ثلاثة :

1- مستوى علاقة الإنسان بذاته : فيقف وقفة خاصة عند محاسبة النفس فيرسم المنهج الذي تتبعه ، وهو منهج يقوم على فهم دقيق لأحوال الناس وسببيل معالجة هذه الأحوال بالترج المنطقي مبينا الخطأ العملية التي تحتاج إلى مران وتدريب دقيق كما تحتاج إلى أدب وأناة يقول : " على العاقل مخاصمة نفسه ومحاسبتها والقضاء عليها والاثابة لها والتكليل بها أما المحاسبة فيحاسبها بمالها فإنه لا مال لها إلا أياما المعودة التي ما ذهب منها لا يستخلف وما جعل في الباطل لم يرجع إلى الحق فينتبه إلى هذه المحاسبة عند الحول إذا حال والشهر إذا انقضى واليوم إذا ولّى وأما الخصومة فإن من طباع النفس الامارة بالسوء أن تدعى المعاذير فيما بقي فيرد عليها معاذيرها وأما القضاء فإنه يحكم على السيئة بأنها فاضحة والحسنة بأنها زائنة وأما الاثابة فإنه يسر نفسه بتذكر تلك الحسنات وأما التكليل فإنه يعاقب نفسه بتذكر السيئات ويتذكر الموت ويؤانس العقاء .

2 - مستوى علاقة الإنسان بالإنسان : فينزع ابن المقفع إلى مياغة طريقة لهذه العلاقة تقوم على ميزان العمل والعلم إذ " لا ينفع العقل بغير ورع ولا المرأة بغير تواضع " وتقوى بالصدقة وعندما يعرض للصديق يقدم المثل الأعلى ويؤكد على الصفات التي ينبغي أن تتوفر في الصديق فاسمعه يحدثك عن الأخلاق المحسودة فيمن أردت مصادقته : " إني مخبرك عن صاحب كان أعظم الناس في عيني وكان رأس ما أعظمه عندي صغر الدنيا في عينيه كان خارجا عن سلطان بطنه فلا يشتبهى ما

لا يجد ولا يكتر إن وجد ... وكان أكثر دهره صامتا فإذا قال بزّ القا ثلثين ... وكان يشكو وجعا إلا من يرجو عنده البرء ولا يصحب إلا من يجد عنده النصيحة لهما جميعا ... فعليك بهذه الأخلاق أن أطلت وإن تطيق ولك أخذ القليل خير من ترك الجميع وبالله التوفيق .

3 - مستوى علاقة الإنسان بربه : لقد رأى ابن المقفع الدنيا طريقا للأخرة بل رآها زوالا يؤدي إلى بقاء دون أن يصل هذا التضارب بين العقل والإيمان يقول " من لا عقل له فلا دين له ولا أخرة " ويقول : " السعيد يرغبه الله في الأخرة حتى يقول لاشيء بعدها فإذا هضم دنياه وزهد فيها لم يحرمه الله بذلك نصيبه من الدنيا " ويرى ابن المقفع " أن من أحسن نوي العقول عقلا من أحسن تقدير أمر معاشه ومعاده " .

ب - مجال تصوّر الممارسة السياسية :

رأى ابن المقفع أن في إصلاح الفرد صلاح المجتمع وأثار قضية العدل وحقوق المحرومين في السعادة والحياة ووقف على مواطن الضعف في المجتمع والذي عاش فيه يتناول سياسة الحاكم بالنقد واستنكر أموراً كثيرة في الدولة العباسية الناشئة فدعا إلى سنّ قانون رسمي تجري عليه المملكة الإسلامية يقول عنه أحمد أمين : " هو رأي له قيمته ووجاهته وهو يتفق في كثير من نواحيه والإراء الحديثة في التشريع له أثر ولو عمل به المسلمون لكان له تأثير في الحالة الاجتماعية وخاصة من الناحية القضائية وحدد ابن المقفع معالم الممارسة السياسية الناجحة في :

(1) العلم : فعلي الملك أن يكون عالما بالأمور، لأن العلم أساس كل شيء أن يكون العالم بالأمور وفرص الأعمال ومواضع الشدة واللين والغضب والرضى والعجلة والأناة والناظر في يومه وغده وعواقب أعماله .

(2) الحلم والعقل : " وذلك أن الغضب يغشى العقل والفورة تعمي البصيرة وتؤدي إلى الفوضى في الحكم .

(3) العهد والوفاء : قبحاً للملوك الذين لا عهد لهم ولا وفاء وويل لمن أتبلي بصحبته

(4) وضع المعروف والاحسان عند أهل الوفاء والكرم قريبا أم بعدوا : إن الملووك
جدر بأن يأتوا الخير إلى أهله .

(5) حسن السيرة : على الملك أن يكون حسن السيرة لا كملك اليوم الذي كانت
سيرته " سيرة بطر وأشر وفخر وخيلاء وعجب وضعف رأي " .

(6) حسن السياسة الداخلية : فيحسن اختيار أعوانه " أن أعظم الأشياء ضررا
على الناس عامة وعلى الولاة خاصة أمران : أن يحرّموا صالح الأعوان والوزراء
والأخوان " .

(7) حسن السياسة الخارجية : " ذو العقل يجعل القتال آخر حيله ، ويبداً بما
استطاع من رفق أو تحمل ولا يعجل " . إذا كان وزير السلطان يأمر بالحاربة
فيما يقدر على بغيته فيه بالمسألة فهو أشد من عو له ضررا " .

وهكذا تنتشر النزعة العقلية في أدبيات ابن المقفع فيظهر العقل أماما أكبر إذ لا
يفرح عاقل بكثرة ماله ولا يحزن لقلته ولكن الذي ينبغي أن يفرح به عقله وما تقدم
من صالح عمله " والعاقل لا غربة عليه ولا وحشة إذا اغترّب . والعقل أفضل من
القوة لأن الأمور ليست بالقوة ولكن بالرأي ، والخيلة تطلب القوة . فكيف ندرك تلك
القيم الأخلاقية سواء أكانت إجتماعية أم سياسية ؟

يقول : " غاية الناس صلاح المعاش والمعاد والسبيل إلى إدراكها العقل
الصحيح وأمانة الصحة العقل اختيار الأمور بالبصر وتنفيذ البصر بالعزم " .
فالغاية تتم أولا بالاختيار الصحيح الناتج عن سابق نظر وتدبر وتبصر وتفكر دون
هوى وتسرع ، وثانيا تنفيذ البصر بالعزم أي الالتزام بتطبيق الرأي الصحيح
وتنفيذه ومن هنا تسمى القيمة الأخلاقية التي إليها يدعو ابن المقفع وعليها بحث
تلازما بين التنظير والتطبيق فابن المقفع لا يحفل بالحقيقة المجردة بقدر ما يهتم
بالحقيقة المجسدة فكان هاجسه عقلنة السلوك أكثر من أي شيء آخر .

مجال إنشاء المعرفة : (بالاعتماد على وسيلتي الخبر والتجربة)

(1) وسيلة الخبر :

قادت الرغبة في تقصي الحقائق الجاحظ إلى تتبع المصادر من مؤلفات قديمة ومن شعر عربي ومن آيات قرآنية ومن أحاديث نبوية ومن تنقل إلى كل مكان يكون فيه الحيوان سلطان وقادته الرغبة في التقصي إلى تلمص الأخبار وراح الجاحظ في نزعة المعتزلية يقارن بين الأخبار والأخبار والأقوال مناقشا تارة هازئاً أخرى مستغفياً تارة حائراً أخرى . والجاحظ من أشد نقمة الناس على المحدثين والرواة والمفسرين لأنهم طاموا أفسدوا الحقائق وجروا الناس إلى الضلال العلمي والمذهبي وهو كثيراً ما يهاجمهم في كتابه وينهج في ذلك منهج أستأذه النظام : " لا تسترسلوا إلى كثير من المفسرين فإن كثيراً منهم يقول بغير رواية على غير أساس (الحيوان 1 / 343) . وأنت لترأه أمام الأخبار قليل الثقة كثير الشك لعلمه بطبيعة البشر وميلهم إلى التحريف والتزييف لكن رغم ذلك الشك فإن منطق المعرفة عند الجاحظ يبقى الخبر ومنتهى الخبر أن يثبت أو يلحق بالقياس العقلي والتجربة .

2) وسيلة التجربة :

والمعرفة لا تصدق عند الجاحظ حتى يدعم الخبر بالتجربة العلمية فاقام الجاحظ التجارب وحكم العقل في كل علم لأن العقل في نظر رجل الإعتزال هو الحكم والمرجع الأخير إذ أن الحواس تخطيء والشهادات يشوبها التقصير كما يعثرها النقص . وتجلي روح الجدل عندما عرض الجاحظ لكتاب أرسطو وراح يخطئه في أمور كثيرة وبين خطئه وجود الصواب مقدماً البراهين والحجج ذاكراً أقوال العرب ويقول : " وقد سمعنا ما قال صاحب المنطق من قبل وما يليق بمثه أن أخذ على نفسه في الكتب شهادات لا يحققها الإمتحان ولا يعرف صدقها أشباهه من العلماء ويعزده أحياناً ويولم المترجمين الذين لم يحسنوا نقل فكرته نقلاً صحيحاً ...

لقد أدرك الجاحظ أن العلم " معاينة وتجربة وفرض ومقابلة وتصنيف " فهو يستعين بالحواس ويعلم أن الحواس تخطيء وأن كلمة الفصل للعقل وهو يجعل الشك طريقاً إلى اليقين .

المعرفة عند الجاحظ تخضع للقياس والتجربة والمعاينة والاختبار والاستفسار

والنقاش وسلوك طريق الشك الموصل بالتالي إلى المعرفة وبرد اليقين والحقيقة عنده لا يختص بها جيل دون آخر ولا عصر وإنما الحقيقة تبقى نسبية يمتلك كل عصر منها نصيبا ويذهب حكماءه وتبقى آثارهم وتتطور المعرفة بتطور الزمن .

وعلى هذا الأساس ألقى الجاحظ الحواجز بين الحضارات في سبيل إدراك الحقيقة وراجع الأرصدة القديمة وحاول تنقيتها من الضلالات والنقائص وحاول أن يطبق على المنقول والمسموع والمروي سلاح الشك طريقا إلى اليقين وكأننا الثقة بالآخر لم تعد واردة ولو كان من معادن العلم كأبي اسحاق ... الحقيقة عند الجاحظ تنشأ من عقل الطبيعة سواء أكانت طبيعة عاقلة (الإنسان) أم طبيعة غير عاقلة (الحيوان والجماد) وأساس تصحيحها العقل لأن العقل يبقى دائما الحجة ... وحتى لو توصلنا إلى توليد هذه الحقيقة من نصوص صياح الديكة الشك طريق إلى اليقين - الانتباه الغريزي في الكلب) فإنها تبقى حسب الجاحظ نسبية والأهم من النتائج تعلم منهجية البحث لاقتحام مجهولات الحاضر والمستقبل معا ويبقى الكتاب أولا وآخرًا عند الجاحظ أداة التواصل المثلى بين الحضارات وهو مقياس تنمية الأجيال للمعرفة المتعاقبة فكيف وظف المعري عقله للوصول إلى المعرفة اليقينية ؟ .

مجال استعمال العقل للوصول إلى المعرفة اليقينية :

يؤمن المعري بالعقل إيمانًا وطيدًا وقد صرح بإيمانه في مواضع كثيرة من (اللزوميات) خاصة و (رسالة الغفران) و (الفصول والغايات) عامة فالعقل هو المرشد الأمين وهو الهادي إلى الحق وهو المنقذ من الحيرة والضلال فهو أصل من أصول المعرفة فلا سبيل إليها بنونها :

إذا تفكرت فكرا لا يمازجه فساد عقل صحيح هان ما صعبا
ولوصفا العقل ألقى الثقل حامله عنه ولم تر في الهجاء معتركا
ويحذر أبو العلاء من ترك العقل ويندد بمن لا يهتدي بهديه . فلا قيمة للإنسان إذا
جرد من العقل :

- فأحذر ولا تدع الأمور مضاعفة وانظر بقلب مفكر متبصر
 - تركت مصباح عقل ما اهدت به : والله أعطاك من نور الحجا قبسا
 وقد بلغ من إيمان أبي العلاء بالعقل وتمجيده إياه واطمئنانه إلى أحكامه وأقضيته
 أن يجعله أفضل نصير وخير مشير بل لقد أعلن إمامته وجعله نبيا يأتي بالغيب :
 كذب الظن لا إمام سوى العقل مشيرا في صبحه والمساء
 فإذا ما أظعته جلب الرحمة عند المسير والإرساء
 وقال أيضا : أيها الفرآن خصصت بعقل فاسأله فكل عقل نبي
 والملاحظ أن فضائل العقل التي عدّها أبو العلاء وهذه الأحكام التي أطلقها
 عليه لا تخلو من نظرة ذاتية لما أسقط الشاعر عليها من تجربته الخاصة كقوله أن
 العقل يدعو إلى الوحدة فهذا رأي لم يصاحب العقل البشري في كل مراحلہ وإنما
 صاحب عقل أبي العلاء وحده في عصره وفي قطيعته مع معاصريه :
 سائبع من يدعو إلى الخير جاهدا * وأرحل عنها ما إمامي سوى عقلي
 وفعلا لم يهتد أبو العلاء إلا بعقله في كل المجالات التي عرضت له ، إذا تبو غاية
 المعري في اللزوميات اعتبار العقل السبيل الوحيد للوصول إلى المعرفة اليقينية
 سواء أعلقت بالقضايا الاجتماعية والسياسية أم بالقضايا الماورائية المجردة
 فاكتمسب العقل صبغة الشمولية :

والعقل كالبحر ما غصيت غواريه * شيئا بنو الأيام تفتـرف
 وأن أول مجال لتوظيف العقل هو المعرفة لتمييز بين الخطأ والصواب ونقد ما يروجہ
 الناس من أباطيل ويعتمدون من تأويل :
 صدقت يا عقل فليبتعد أخو سفه صياغ الأحاديث أفكا أو تأولها
 فبالعقل أمكن لأبي العلاء أن يعارض الفرق الدينية ويكشف عن أغراضها ويدينها
 في حرصها على تحقيق مآرب نفعية :

ولا تقبلن ما يجرونك ضلّة إذا لم يؤيد ما أتوك به العقل
 غير أن توظيف العقل في الوصول إلى المعرفة اليقينية لم يفض بأبي العلاء إلى

أحكام ثابتة تتسجم في نظام فكري واضح فبقي في حيز الشك المطلق حتى أنه لا يؤمن بالثبات على حال وإن أقصى ما يدركه هو الظن :

أما اليقين فلا يقين وإنما * أقصى اجتهادي أن أظن وأحدس
قصارى العقل إذن أن يجد ما وسعه الجد وأن يفهم ما استقام له الفهم وأن
يدبر أموره في هذه الحياة كما تستقيم له الظروف فإذا انتهى إلى حيث لا يطيعه
وقف وقفة المتواضع الذي لا يطفى ولا ينكر ولا يتورط في هذا الانكار العنيف الذي
يشير اليأس والبؤس :

سألت عقلي فلم يخبر ولم يجب فقلت له سل الرجال فما أفتوا ولا عرفوا
قالوا فمالوا فلما ان حوتهم إلى القياس أبانوا العجز واعترفوا
وقال : وقد أعمل الناس أفكارهم فلم يعنهم طول أعمالها
وقال : إنما نحن في ضلال وتعليل فإن كنت ذا يقين فهاتمه
وقال : متى عرض الحجا لله ضاقت مذاهبه عليه وأن عرضته
ولكن تشاؤمه يفلبه في بعض الأحيان فيكفر بالعقل ويجرده من كل قدرته على
المعرفة حتى ليجعل العالم والجاهل سواء :

فهم الناس كالجهول وما يظفر إلا بالحسرة العلماء
وفي هذه السورة من التشاؤم ينفي أبو العلاء أن يوجد إنسان أوتي العقل والرشد
يقول : ما كان في هذه الدنيا أخور رشدا * ولا يكون ولا في الدهر إحسان
وإنما يتقضى الملك عن غير * كما تقضت بنو نصر وغسان
ولذلك يعترف أبو العلاء بأن طموح عقله في كشف المبهمات محدود فكم سأل
وكم ردد السؤال ولكنه ارتد خائبا :

سألت عن الحقائق كل يوم فما ألفت إلا حروف جحد
وعند ذلك تظهر الألفاظ ويبين الإشكال :

أمرو يلتبس عن البرايا كأن العقل ملها في عقل
ولا مخرج عندئذ لا بالحدس ولا بالإيمان ولا بالإلحاد بل بالموت :

ياموت زر إن الحياة ذميمة ويا نفس جدي إن دهرك هازل

(3) على سبيل الرؤية المتما سكة :

إن تعدد مجالات العقل يوحى للوهلة الأولى باختلاف المواقع والملابسات فصارت الدلالة متعددة وصار البحث عن منزع عقلي واستغلاله في المعرفة صعبا فكيف بالبحث عن رؤية متماسكة . لكن إذا أعملنا العقل في العقل تبين لنا أن التشخيصات الثلاث تصدر عن وعي واحد وتسعى إلى تحقيق غاية واحدة والوصول إلى حقيقة جوهرية واحدة وإن اختلفت السبل تلك هي طرق الحقيقة كما عبر عنها مرة ابن الهيثم فكيف يجوز لنا بهذا الاعتبار البرهنة على حقيقة المنزع العقلي لا سيما أن الاشكالية تبقى كذلك أساسا موضوعيا من أهم عصرنا الراهن في مواجهة الآخر .

نوجز القواسم المشتركة بين النماذج الثلاثة في الأسئلة التالية :

(1) لماذا المنزع العقلي في الأدب العربي القديم ؟

إن المنزع العقلي لم يكن اختيارا اعتباطيا قاد إليه توف فكري بل انه فسي جوهره موقف من العصر ومن قضايا الإنسان . غذاه شعور عميق بمنزلة المثقف في المجتمع ومسؤوليته في تطوير السلوك الفردي والجماعي وفي إنشاء المعرفة وفي البحث عن الحقيقة اليقينية . هو رؤية حضارية تعكس الانحراف السياسي والديني والقيمي فاثار ابن المقفع قضية العدل وحق المحرومين في السعادة والحياة ووقف في مواطن الضعف في المجتمع الذي عاش فيه وتناول سياسة الحاكم بالنقد واستنكر أمورا كثيرة في الدولة الناشئة ، وأرجع أسباب الخلل إلى أخلاق الحكام وسلوكهم وأراد أن يقف من هؤلاء موقف بيديا من دبشليم .

وكانت رغبة الجاحظ وراء اشتغاله بالعقل أن يحقق للدولة العباسية في طور نضجها استكمال ذاتها بالمعرفة إذ يظل العلم جوهر الإنسان وتظل أزمة المجتمع أزمة معرفية خاصة بعد أن انفتحت الحضارة العربية الإسلامية على الآخر ورغم المسافة الزمنية القصيرة لهذا الانفتاح فإن التواصل يفرض اتساع فهم العقل

بالأخذ عن الحضارات الأخرى ونقد أخبارها ولم لا تأصيل كيان معرفي عربي يستطيع الوفاء بمتطلبات الإنسان في القرن الثالث هـ . ولا شك أن أبا العلاء جاء في مرحلة التدهور والانحطاط وشهد « ملوكا كأنهم أرانب » فكان ناقوس الخطر ما فتئ ينعقد ويحذر ويدعو بالتقي هو أحسن أو التي هي أسوأ دون أن يخشى في ذلك لومة لائم . فحسبه أن يرضي عقله وضميره رضي عنه الآخرون أم لم يرضوا لذلك نقد الحكام والولاة وندد بالعتاة الفاشمين منهم الذين وسد إليهم الحظ الإمرة على الناس فوقعوا على أموالهم وقوع البزات على بغاؤ الطير ، فلم تعد الحواجز الآن قائمة بين النص والنص بل بين العقل والنص وبينهما والآخر (أقصد العقول المنافسة) التي أربكت لحظات الصمت والاطمئنان التي كانت عليها الخطابات العربية القديمة وأمسى العقل معرفة واجبة تفسر ذلك الغليان النظري والتأملي والبحث الفكري الملتهب وفترة ما قبل القرن الرابع للهجرة وكانت تلك الدعوات صيحات فزع وأدلة لعقلنة الخطاب العربي الإسلامي وأن لم ينته ابن المقفع ولا الجاحظ ولا المعري إلى إنشاء ابتسمية عقلية (نظام معرفي عقلي) لأن العقل يبيى دائما داخل منظور الوحي التوحيدي من ناحية ولم يتجاوز من ناحية ثانية كونه منزعا عقليا - لا فكرا عقليا .

(2) ماهي مقاصد المنزع العقلي في الأدب العربي القديم ؟

لقد توزع المنزع العقلي في الأدب العربي القديم ليشمل أبعاد السلوكية والمعرفية والفلسفية غاية موحدة هي إصلاح الفرد باعتباره ذاتا قيمية واجتماعية ونفسية وإصلاح الفرد في علاقته بالجماعة وهكذا تتحقق الغاية الأولى : سعادة المعاش حين تنصهر النوات في إطار قيم المدينة الفاضلة : سلوكا ومعرفة و يقينا وتحقق الغاية الثانية وهي سعادة المعاد وأن لا انفصال في جوهر الخطاب الاصلاحى بين الغايتين .

ويقول ابن المقفع : " غاية الناس صلاح المعاش والمعاد والسبيل إلى أن يدركها العقل الصحيح " .

ويقول المعري : " فإذا ما أطعته جلب الرحمة عند المسير والارساء .
إن الدعوة العقلية تسعى إلى نيل نعمة السعادة المطلقة والتمتع بمعنى الحياة
الخالدة والبقاء في العالم الخَيْرُ عالم المدينة الفاضلة ... وقد قدم الأدباء العرب
جملة من الخصال والفضائل الكريمة في مضمار تحذيرهم من العواقب الوخيمة
أن هم تنكبوا عن هذا الطريق طريق المثل العليا . وانطلاقاً من هذه الأسس يكون
المقصد الاسنى من المنزع العقلي إصلاح الفرد في علاقته الأفقية والعمودية .
* ما منزلة العقل في الأدب العربي القديم ؟

مهما اختلفوا في أبعاد التعقيل فإنهم لم يختلفوا في الإلحاح على منزلة العقل
، ففعل العقل البشري في هذه المرحلة لا يرقى لأن يكون جوهرًا لذاته فحسب بل
إنَّ فعله يظل جوهرًا لغيره ولذلك أرادوا أن يكون فعله هو جوهره .
فالعقل سبب والعقل حجة والعقل إمام ونبي لا اختلاف في منزلة العقل لأنه
الإنسان في كلمة .

* ما منزلة الحقيقة في المنزع العقلي في الأدب العربي ؟
يشارك ابن المقفع والجاحظ والمعري في هاجس البحث عن الحقيقة ويعترفون بأن
العلاقة بين العقل والحقيقة تسير في اتجاه واحد . بمعنى أن الهدف من العقل :
عقلنة السلوك أو المعرفة أو المجتمع أي إنشاء فعل التعقيل وتأسيس المعقولة وليس
العقل سوى من يميز بين السائد والمنشود وبين الفروع والأصول ومن هنا يكون
البحث عن الحقيقة مطلب الذات ومطلب الجماعة ...

الخاتمة :

كان هذا العمل رغبة في عقل العقل المحددات والتجليات بالقدر الذي سمح لنا
الفهم وأن تغيّرت الإشكالية أثناء سير العمل فلم يعد الإنسان هو الإنسان ولا العلم
هو العلم ولا العقل هو العقل ولا الأشياء هي الأشياء ، كما لم تعد العلاقات
الرهانات العرفية والإنسانية هي كذلك قد لا تسعفنا " عقلانية " ابن المقفع والجاحظ
والمعري لمواجهة واقعنا الجديد وفي صياغة أفق جديد لحياتنا .

لكن بالرغم من كل ذلك فإننا نجمل هذه الرحلة مع المنزع العقلي فـي الأدب العربي القديم في النتائج التالية :

- 1/ أن المنزع العقلي في الأدب العربي القديم انشأته الصدمة مع الآخر
- 2 / هو كذلك يعبر عن أزمة عصر بأكمله .
- 3 / هو عقل يتحرك داخل المقدس الديني ويقوم على مفهوم البيان .
- 4 / هو عقل إجرائي رغم بعض المثالية التي تكتنفه .
- 5 / ان الغاية منه الإصلاح وإن كانت هذه النزعة تختلف من أديب إلى آخر .
- 6 / هو عقل ذلل الكثير من غموض اللامفكر فيه وإن بقي في كثير من الأحيان في إطار الحيرة والشك .
- 7 / هو منزع الغرض منه انشاء المعقولة أو فعل التعقيل ولعل ذلك أسعى أهدافه لتحقيق : سلاح المعاش والمعاد .

ARCHIVE

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

* المصادر والمراجع :

– المصادر :

- (1) المجموعة الكاملة لمؤلفات عبد الله بن المقفع بدار التوفيق للطباعة والنشر والتوزيع بيروت 1978 .
- (2) الحيوان : الجاحظ – دار مكتبة الهلال بيروت 1990
- تحقيق الدكتور يحيى الشامي .
- (3) اللزوميات : المعري – طبعة دار صادر (5 ، ت)

– المراجع :

- (1) لسان العرب : ابن منظور – المجلد الثامن . طبعة دار صادر .
- (2) ضحى الإسلام : الجزء 1 بيروت الطبعة العاشرة
- (3) دائرة المعارف الإسلامية : الطبعة العربية فصل (أدب)
- (4) بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب : الحكيم الترمذي .
- (5) عقلانية ابن المقفع : بحث في أدبه ومفهومه للعقل والإنسان والمجتمع (محي الدين حمدي)

- (6) الجامع في تاريخ الأدب العربي : حنّا الفاخوري - دار الجيل بيروت .
 (7) النزعة الكلامية في أسلوب الجاحظ : الأب فكتور شلحت اليسوعي .
 (8) من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية : محمد عبد الرحمن مرجبا / دار المعارف
 1978
 (9) تاريخية الفكر الإسلامي : محمد أركون ترجمة هاشم صالح . مركز الاتحاد القومي ببيروت
 1986

- دوريات :

- (1) العقل في تواليف ابن المقفع : علي الفيضايوي : مجلة فواصل .
 (2) الفكر العربي المعاصر : (98 / 99) العقل / العلم / الإنسان : محمد المصباحي .
 (3) الصباح الأسبوعي 12 . 4 . 93 : المنزع العقلي في الأدب العربي القديم وأهدافه
 الأستاذ علي حمريت .
 (4) إعادة بناء الفكر الديني عند ابن المقفع : عالم الفكر المجلد 14 عدد 3 : سعيد حنين
 منصور .



إعداد : مسعودة أبو بكر

الرسم باللون

الرسم بالكلمة

مع المبدعة الخليجية - ميسون صقر القاسمي -

* * * * *

وأنت تتعلمي في اللوحات المائية لميسون صقر ، يصبح العطر لون وتغدو للون رائحة ، ويمتد جسر بين قصة ما دفينه في داخلك مع الفرح الإنبهار / مع القلق / مع الحيرة / مع الحب / مع التردد / مع الأصرار ...
قد تتواطأ مع اللوحة في تحسس بحث في أشكال جديدة للأشياء من حولك ..
وقبلية أخرى لواقع ضجور: <http://Archivebeta.Sakhril.net>
يتمرأى المتلقي أحيانا في مساحات أخرى يوقرها فضاء اللوحة فيبحث عن نفسه في دائرة الألوان المتناغمة بين صوت يرتسم بألوان الشفق وبهرة ضوء تتسرب لها ترنيمة ساحرة .

ميسون صقر القاسمي مبدعة عربية من دولة الإمارات العربية المتحدة متخرجة من كلية الإقتصاد والعلوم السياسية عام 1982 . مازجت بين بوح الكلمة وسحر اللون أقامت أول معرض تشكيلي لها في الإمارات سنة 1990 - 1991 . ثم نقل في نفس السنة إلى القاهرة باسم :

" خريشات على جدار التعاويذ والذكريات لا امرأة خليجية مشدوهة بالحرف واللون "
وفي سنة 1992 أقامت معرضها الثاني في القاهرة ونقل إلى الإمارات باسم :
" الوقوف على خرائب الرومانسية "

كما أصدرت في أكتوبر 1992 ديوان « البيت » « جريان في مادة الجسد » و « الريهقان » وهي بصدد إصدار مجموعة نصوص بعنوان « الآخر في عتمته » ومجموعة شعرية للفتيان بعنوان « حكايات آخر الليل »

وإن اخترت قارئتي المحترم في هذا العدد هذه المبدعة من الوطن العربي فلكي تلمس تارة عبر النص وتارة عبر الرسم عمق الإحساس وشفافيته وخير من يقدم النص نفسه : تقول في كتابها :

جريان في مادة الجسد *

« كي أتنازل قليلاً عن دقة تحدث للمرة الألف ، وكي اسكب سائل الروح على الظامئة يعني أن أقتل طفلاً موبوء بالربو والنارنج ، وكي أترك لجسدي الخفي أن ينحت تعثراته على موسيقى رحمانينوف دون أن أخفي تعابير الوجه الفج يعني أن أسقط مخنولة تماماً في حرمان تقاليد متجذرة على أحرارشي .

إن لن لأقتل نافذة تطل عليّ فقط ، وأقتل تشرنقاً لا يلد الفراشات ، ولحظة عبر انكماشها في ذاتها ، لأفجر نوافذ العقيقة السائلة عبر اختلائي ، وأفتح عيوني الفائرة بداخلي لأخبر مغاير كي يهز ثبات الصور المعلقة على جدران تتلوى ، وقلبي المستوحش - البري - لا أروضه .

سأشوق أوتاري وشوارع ، فوضاي وهواجس ، شجري الليلي ومائي ، رياحيني وتاريخي ، ذيل السمكة التي تتلبسني ، الثقل في الجهة اليسرى وتوجس حاد وبارد ... ولا أروضه .

ومن صوتي - بهرجة الفوضى - ومماتي ، أصدقاء لي لصالح القصيصة المتفردة - وبنائين شعراء يتوافدون لاجترار نصهم ، ورسامين في بهاء اللون متجاوزين الثابت في اللوحة والزمن والمفقود ، وصعاليك بارين بملكة في الوعي ، ولبقرة مضيفة هناك ... هناك في العمق الخاص لا تجلو جميع تغمات الكون ولا تفتح كل مسام اللغة ... سأخمش صورتي المطابقة في المرأة وأرج الماء في كوب باهت ولا أروضه .

فقط أفتت قبيظ طفولتي بشمع العلامات الفارقة ، وأصهر نحاس العلاقات ،
كل اختلاف لقيمة اللذة في نص سديمي ، وكل اختلال في ترسيمة العادي :
مراكب في سحاب ، بيت من ماء في زجاج ، عاقل مبهم وغنوصي متاكل ، خبز
بلا ضغينه أو رجل بلا قدمين ، انسان ما ، كبريت ، دفق في الظلم ، تجاريف
في الحفر التاريخي ... ويدي كمنجل - تسقط - تجث دوامات التكرار في الخط
الواحد ، وتفتح الأمكنة في الوعي وتهمي للزيف الآخر الآن مقبرة عظيمة .
ولآخر المدان ، الآخر المعتم - المفلق ، الآخر الجميل - الزائف مجالات
مغناطيسية في هواء ، وتفكيك داخل روحه ولنا أن نصنع الفطير ونضع عسل
التحولات فيه ، نضع عسر التحول في فطيرة اليقين .. ولا أروضه .»

ميسون / الفنانة التشكيلية

في تعليق عن لوحاتها المتمثلة في خامات مائية مختلفة كانت موضوع معرضها
الثاني سنة 1992 باسم : « الوقوف على خرائب الرومانسية » اخترت هذه
المقتطفات .
<http://Archivebeta.Sakhrit.com>

« عوالم غير متناهية ، ارتباك في حيز الفراغ وارتواء في جدلية اللون المتأثر .
ارتجاج للروح وتهيق وتمثل لنا موس خاص باللوحة ترتبك الفرشاة أو تثبت فيتكون
امتزاج واندياح للون هو اختلاط الرغبة بالحياة محاولات شتى للخروج من روح
الكولاج إلى أجنحة الطير وبناء الروح وأرصفت شوارع ممغنطة وسموات بلا
بهتان وصرصره ريح في أنفي »

إلى أن تقول الرسامة الشاعرة ميسون صقر القاسمي مقارنة بين التجربة الأولى
بمعرضها الأول والتجربة الثانية .

« كان بالمعرض السابق فرح بالناتج - المخلوق أمامي - أكون منه أعمالا تشبه
الأحلام والرؤى .

في هذا المعرض - وشجت علاقتي بالظلمة ، بالليل إذ تداهمني خيوطه بنسيج

يلتف على ذاكرتي ، فهو محاولات عدة لمشروع يبدأ ولا ينتهي ، ولا يتعدى هذا المعرض غير المحاولات الأولى ضمن مشروع أشمل لمعنى خلق اللوحة من خلال العمل الدؤوب مع عدم انفصالها ، مشروع خلق الإنسان وزرع القيم الحقيقية والجمالية فيه وإزاحة المتدني منها .

قد يرى البعض أنها محاولات في اتجاهات عدة .. قد يراها البعض تجارب ضمن تجربة واحدة .. لكنها استكشاف لمادة اللون (الأحبار) في ظل عدة مواد ورقية ، مع استكشاف اليد التي تعمل وتخلق .

تلمس للمشروع الخاص من خلال تلمس مشروع الفن الذي يعد بالروح من خلال وضوح الرؤية والقدرة على الإستمرارية لفهم معنى : - الفن / الجمال / الفنان / الإبداع / الإلتزام .

بحيث لا ينفصل مشروع اللوحة كقيمة عمل عن مشروع الوجود ككل

بين اليد واللون فراشات تطير بين اللوحة كمكان ثابت واللون كمكان مشتت فضاءات الممكن واحتمالات المستحيل كتتمثل للزمن القادم .
<http://www.archive.org>

ميسون الشاعرة :

* * *



أحب أن أحكي
عن أبوة تداخلني
وأم تنقصني
وخيل مستفزة
تجري ضد غنائمي .

* * *

ملء رثييه



الحشرات ملء رثتيه
وفي البيت صامتا يظل
مطويا على دقيق قلبه الذي
طحنه في الغبن
تترهل عاطفة يصنعها كل يوم
وتخرج الحشرات أزواجا
نحو الوقوع في شركه .
* * * *

في ليل ظلمتنا



عشب على شعر
يد على أهدا ب
شجر مطارد للعصافير
جاذب للأجساد التي تحط تحت ردائه
وصوت بلا ماء
شعر بلا صخب
وضفادع
أمنيات تقفز في ليل ظلمتها
كي تحك جسدك المنحوت من نار وزيت بالغليان .



نقطۃ تعجب !

سُعرۃ عمر الحبیدیه

قَلْتُ شَاهِدِي الْمَدِينَةَ

عَارِيَا مِنْ كُلِّ ثَوْبٍ .

لَسْتُ أَخْشَى ..

أَتَحْدَى .. عَنْصُرَ الْبَشَرِ ..

وَشَعْبِي ..

لَا أَخَافُ ..

لَسْتُ أَقْتَالُ الصَّبَايَا ،

لَسْتُ أَبْتَرُّ الْأَضْعَافَ ..

أَيْدَا .. مَا كُنْتُ قَتَلَا

أَوْ جَفَافًا

لَا نَغِي أَهْوَى فَقَطْ ..

لَا تَجَادِلْنِي .. رَفِيقِي !

لَا تَفْتَشْ ، عَنْ خَيَايَايَ



مسيبي!
لا تلمني ..
ولتدعني يا صديقي !!
لا تضع خلفي النقطة .. (...)
إنني أهوى فقط

إنني أهوى فقط !
فالتعب إن زور اللوام عذلا :
« كان طيرا .. رائعا ،
ثم سقط ! »
ولتضع بعض النقطة ...

<http://Archivebeta.Sakhril.com>
إليانتي في ٢٠ يناير ٩٣



هكذا أحبني

شعر : علياء بن محمد

الإهداء : إلى أمي ... معنى الحب .. إلى كل

من يحبني هكذا !

هكذا أحبني

أضاجع أعماقي

أحتضن أفكاري

أحتضن وجهي

أقبل أوجاعي

أداعب ابتساماتي

هكذا أحبني :

متحررة من كل الأتعة

من كل الفلوات !

أحبي همسة محبين

أحبي صدر أم وحنينا !

أحبي ضحكة ولدي

أحبي دمة طفل حزينه

أحبي مروج نيسان

أحبي سنايل تموز وضباب تشرينا

أحبي نسائم صيف

وحقول ثغاء شياه حمام

أحبي كتاب لشعر

وشدو ناي وغناء حزيناً

أحبي القصيدة تولد

فلا تقني وإن تبيد !

رفوف القطيعة

شعر : الهادي مفتاح

المكتن

أن لا أغلق البوابة	ولا تنسَ المشجب
لأنام في الزاوية	المعلق على كتفي
لا أنا ولا عصافيري	حامل الضوء
تستطيع النّقّارب	بين سلة العرق
أنا لست حزينا	وسلة الفاكهة
لأنني منفصل عنهم	قاعدة الصّحون الساخنة
أعني معنى الحياة	كلها من رسمي
لا أكون عجوزا	ولا أحد يغني في
يكره مرآة الصّبّا	لهيب بيتي
أن يكون لموتي معنى	فأنا لست من رفوفها
ومرتفعاً	ولا غربة مؤقتة
أصيح بأغلال الصمت	أكتفي بالكتابة
من يحبّ قصائدي ؟	والخروج من القاعدة
* * *	أرفض الحزن

أصوات في الزمن الرديء

قصة : المختار المومني (صفاقس)

الإهداء : إلى اللاهثين في الدروب الوعرة .

* صوت من الداخل

أفتح عيني .. يتحرك وجه الاستغلال أمامي .. يتخذ شكل الحسناء اللطخة بالمساحيق .. أسير .. ينغرز الفأس في جنبي .. أرفع الفأس أضرب صدر الأرض ويشب العرق بجسمي ملحا .. زفتا .. قطرانا .. يسيل فوق ضلوعي .. تسافر معدتي نحو مطاعم المدينة .. تسافر معدتي والألم الجاثم فوق صدري دهاليز تنتظر الطوفان .

لم أكن وحيدا في الساحة .. كان عمار متكئا على سارية وهو يقرأ : - الخبز يبقى سيد الكل .. و " إذ قال الخبز للناس اسجدوا .. سجدوا إلا أنا ما عدت أخشى الجوع .. فهذا الجوع عمدي بماء الرقض فتعالوا يا جباع العالم المويوء واقتسموا دمي الفوار فالجوع رب له تسجنون " .

* صوت من الخارج

ينزل المطر فترزغرد الأرض لأنها تتعطش دوما للسواعد المفتولة وتبقى عيون إخوتي المقروحة مشدودة إلى الطريق الأغبى في انتظار أوبتي على صهوة الحلم الوردي ، وتبقى أذان والدتي مشدودة إلى وقع قدمي المشققتين ، ويسيل القسيء العالق في صدور إخوتي فيستحيل رغيفا من الخبز الذهبي .. يكبر الرغبة فيتحلق حوله كل سكان بلدي من الرجال والنساء .. يمعنوا فيه أسنانهم وأظافرهم ، للعجائز في قريتي عن الحبز حكاية طريفة عن المرأة التي سلح صبيها فمسحته بقرص من الخبز فشنتها الله عقابا لها ... تم حبل التاريخ فإذا المرأة قمر وابنها في حضنها ترضعه .. وإذا الأطفال في قريتي يقضون ليالي الصيف القمرية مستلقين

على ظهورهم فوق سطوح منازلهم الواطئة يعانقون « المرأة القمر » أو « القمر المرأة » .

* صوت ميت

.. صدت عجلة الزمان ... لم تعد تتحرك .. كلنا لم نعد نتحرك .

.. الزمان هوة بلا قاع

.. الحركة ترفضها فنبقى مكتوفي الأيدي مفتوحى الأفواه ناكلنا الأغلاط النحويـة
والصرفية والمنوع من الصرف ونحن لم نصرف شيئا رغم عشقنا « للمصروف »

.. يرفض الصرف

.. يرفض المنوع من الصرف

* صوت مريض

أحاول أن أبحث عن بقايا نفسي وبقايا جسدي وبعض فكري ، تمرقني بعض
المرثيات والمخفيات .. متى تنتهي هذه الرحلة ؟! أم تراها رحلة أبدية خلـو من كلـ
وصول ؟!

الوجوه هي الوجوه .. الحزن قاسمنا المشترك .. الألم والمرارة في حلوـقنا ..
الضيق والاختناق في صدورنا .

* صوت يائس

المقهى يتأب .. الوجوه غارقة في الكؤوس خلف المرايا الضبابية أفتح القاموس
.. أقرأ ..

.. ماء .. يموء

كل الذين على الأرض يموؤون .. لا فرق بين القطط تموء وبين الرجال .

تشخيـج السواعد وسط السيور والأزير ، والغلاء والسوق السوداء .. تنهراً العيون
وسط الدموع والعرق ...

يموت جائع في ساحة عامة احتجاجاً على التخمة ..

تحترق روما .. يصفق النظارة ..

وتظل الخارطة جوعا معلقا يهدد الجميع .

يتحرك اللون الأحمر .. يرقص في انتصار .. يرتعش اللون الأصفر يبحث لنفسه
عن مشقة .. الوجوه تغتسل بأحزانها .. المقاعد تكشف أسرارها .. عقارب الساعة
تعانق حقلا من فراغ .. الأشرعة تشد الرحال .. قطط الشوارع تتسع عيونها ..
الجرذان تتوالد .. تحاصرني .. أندفا بأحلامي الشمعية تحت أغطية من التعب
والإرهاق .

أيتها المدينة :

تعبت .. و تعبت قدمائي من الوقوف على أبوابك المغلقة .. تعبت وأنت في شرخ
الدهشة تبيعين السواعد المفقولة بالمزاد ... أناديك يختنق صوتي ... يسيل رعاها ..
أتساءل إن كنت أخطأت الأبواب .. أضرب رأسي على الحائط .. أصحو .. أرى
متسولا يبيع صورته لسائحة شقراء عارية الفخزين مقابل علبة « قولوا » .
أصرخ .. تنهأوى كلماتي مليئة بالحزن ، والقيح ، والصديد .

أيتها المدينة .

لقد خدعوني .. قالوا إنك كشجرة السرو ولكنني اكتشفت أنك " روبايفكا " تباعين
في المزاد .

صدمتني حقيقة الإكتشاف

ونظرت إلى جذب السنوات في العيون المسهدة ... كنت مزكوما برائحة النفايات ..
معلقا على أعمدة الصحف اليومية .
وكانت حبيبتي تعرض عورتها .. تعلقها على الجدران الخربة وجبال قدي العيد .
يسترخي الوطن .. يتمدد في الأعين المععدة بالكتابة .

* الصوت المختنق

– نحن شهداء رغم أننا لم نمت

– نحن الحاء ..

– نحن الزي

- نحن النون
- نحيا ليحيا الوطن
- نحن الألف
- نحن اللام
نحن الميم
- ربما نتأخر ولكن قفزتنا لا بد أن تكون رائعة .. لقد قال لنا الشجر ذلك ، والشمس

، والكراسي

* الصوت الرافض

- حيّ على الشقاء والتعب ، والفلاء والعرق
- أنت البطالة ترفضك يا البطالة ..
- أنت الخوف .. ترفضك يا الخوف
- أنت الحرمان .. ترفضك يا الحرمان
- الشمس وجه التفاؤل
- التفاؤل وجه الحياة !



* الصوت والصدى

صفارات إنذار .. أقدام تهول .. أحذية تخطب الاسفلت .. الأشياء تتداعى ..
الأرض تميد .. الزلزال برج المدينة
- اسرع الكلاب وراءك ..
- ما أتعس هذا الجيل
- ماذا تقول ؟
- أنا غريب عن هذه المدينة ..
- إذا دعني أكسر الساعات على العتبات المنوعة .

* تعليق على ما حدث

عظيم أنت يا وطني .. ولكني أحتاج إلى بعض الهواء النقي تحت هذه الشمس
الملتهبة .. سأجرب الحلم وإن كانت عينايا مفتوحتين .

الوصية

بقلم : فوزية علوي

سَتَنْزِلُ ... وتحتضنك بلدة بلا علامات ... فسيحة بلا تيه وصاخبة في هدوء ... الحياة فيها تأخذ مغبرها العادي بلا فوضى كدم في العروق يأخذ طريقه إلى القلب الدكاكين تُعرض بضاعتها في ود غريب كأنما تهبها دون مقابل . الخبز يتنفس حباً عطراً ويتوهج في لظاه يسبي من يمر فيشتري ولا حاجة للبيت بالخبز ... والكعك أصفر من عشقه مغطى في الواجبات بقماش من قمر شفاف ... وذا الزيتون ضاحك في علبه الزجاجية والسكر غارق في بياضه لا يباع إلا مع الشاي الأسود ، رحلة عشق عريقة تعودها الناس مذ فتحو أعينهم هناك

والباعة يسراويلهم الفضفاضة يجلسون عند العتبات يتسلّون بالألعاب ... يتحلّقون في انبساط حول شبكات خطتها أصابعهم على الأرض والألوات هيئة حجر ونوى ... يغرقون في قانون اللعبة " كش " وتُنسى الحياة

إن قدم حريف لا يُهرولون بلهفة ولكنهم يبتسمون يتمهلون في فتح العلب وفي وزن البضاعة وغلق الدكاكين وعدّ النقود ... عند الأذان فقط يسرعون ... معادلة غريبة بين الحياة والموت

المأحونة ترحي القمح والذرة والشعير وتطحن القلق ... ستسمعها تكرر طول اليوم بلا تعب فالأشجار شاهدة بخضرتها الدائمة على حب مبثوث في الهواء يتشربّه الأطفال فيكبرون كالالباب لا تسرع الخطى فلا شيء يفوتك في

الحياة غافية حاملة ... والزمن رفيق ... يمر فلا يחדش كأنما يُحَنِّي أو يربّت على
خذ الأرض .. انظر يمينا وعلى الشمال ستهمس لك ناعورة كبيرة مهجورة لا أحد
يعرف تاريخها لكنهم نهضوا فوجدوها هناك ... في أعلاها عشش لقلق جميل عرس
الأبيض في ريشه والأسود

غرب ترى شجرة خروب ستعجب لجذعها الذي يشهد على ميلاد الأرض ...
سر في ذلك الاتجاه سيعترضك الزقاق دافئ ... وقد لا ترى الأطفال إن أنت وفدت
صباحا ... هم في المدرسة يتعلمون والأصاغر عند العين البيضاء يجمعون الحزون
... لهم موسم لست أدري كيف يستشعرونها في كل مكان كما تستشعر الخط
طيف الربيع وإن نأت بينها المسافات ... موسم للخزوف وآخر للكجات وثالث لجمع
لُب المشمش يحك على الأرض ويقور فيحدث صغيرا عجيبا ... وعند المساء يملؤون
الساحة المرحاب يروون الحكايا أو يركضون كالمجانين ويلتقطون التوت المنتشر
كحباب المرج إن سألتهم أرشدوك ... فكم يفرحون بالخدمة يؤثرونها للغريب
وكم تبرق أعينهم من الفضول ...

أما إذا أتيت الصباح فلا تشغل بالك ولا حيرة تسكن قلبك لا دليل تحتاجه ..
سيناديك الباب وحده ... باب فسيح أزرق والعشب يكسو قدميه كأنما نبت هناك منذ
مئات السنين ... والجدران عالية وبيضاء ... اقترب ستلمح تقويرة في الخشب باب
في باب منه يكون الدخول ستضحك في وجهك حلقة كبيرة من حديد أسود
... خذ بقرطها وسلها عن أهل الدار ... إن طرقت وطال وقوفك لا تلقى ... لقمع
الحوش يلزم وقت ليس بالقصير وأنت تنتظر ... ارفع بصرك شاهقا يرفرف
عليك ورق غصن عطير ويقطر ماء معين ميزاب ثرثار فلا تغضب ستغزوك روائح
صاخبة تبعث نسق الروح فيك فينتابك كالخدر ... تراب مغمس بريق الاحبة ودائحة
غابية سحر غصن شفه المغيب فبكي عاشق مصلوب ويقايا متبلل
وشاي نسى على الجمر فاحترق وتضوع ... ولبن حالم في إناء وخبز إنكوى

قَبَاحٌ.....

أَعِدِ الطَّرِيقَ فَالشَّيْخُ يُصَلِّي ... الْجَنَّةُ عَلَى الْأَبْوَابِ وَالسَّمْعُ أُنْقَلَبُ الزَّمَانُ ...
وَالْعَجُوزُ مَشْغُولَةٌ فِي حَشَى الْبَيْتِ تُحْصِي كُنُوزَهَا تَنْفُضُ الْغُبَارَ وَتُعِيدُ تَرْتِيبَ
الْأَيَّامِ وَبِمَا وَرَاءَ السُّورِ لَيْسَتْ تَأْبَهُ أَبَدًا ... حَوَّشَهَا اخْتَرَلَ الْكَوْنُ كُلَّهُ

وَقَعَ الْفَرَسُ فِي السَّقِيْفَةِ قَدْ يَحُولُ نُونٌ سَمَاعٍ طَرَفِكَ أَوْ خَوَارُ وَالْخَطَاطِيفُ
مُشَاكِسَةٌ هَذَا الرَّبِيعِ تَزْدَحُمُ فِي الْمَدْخَنَةِ ... تَقْتَتِلُ حُبًّا وَتَتَنَفَّسُ مِنْ وَجْدِهَا الرَّيْشَ
.... وَالْأَوْلَادُ لَا أَذْرِي لَعَلَّهُمْ فِي الطَّرَفِ الْآخَرِ مِنَ الْقَارَةِ يَحَادِثُونَ الْمَذْيَاعَ ... وَأَلْعُ

بِالْأَبْنَاءِ وَالشَّعْرَ وَالْكِرَّةَ ... وَابْنَتُ الْوَحِيدَةِ الَّتِي أَنَا هُنَا فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ الْعَيْنِيَّةِ ...
سَيَاتِيكَ الشَّيْخُ فَلَا تَقْلُقْ أُنْقَلَبُ حَرَكَةً وَأَخْفَهُمْ لِسَمَاعِ النَّدَاءِ سَيَكُونُ
قَدَمِيهِ الْمُبْلَتَيْنِ بَعْدَ بَنُورِ الْوُضُوءِ وَيُطَقِّقُ بِالْقَبْقَابِ سَتَسْمَعُ حُصْحَمَتَهُ وَاسْتَفْغَارَهُ

وَاحْتِجَاجَهُ عَلَى جِبِلٍّ لَا هُوَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَلَا مِنْ أَهْلِ الدِّينِ ... سَيَقُولُ لَكَ أَهْلًا
وَلَنْ يَسْأَلَكَ مَنْ أَنْتَ ؟ وَلَا مِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ ؟ ثِقَّةٌ فِي الْخَلْقِ عَجِيبَةٌ ... نَبْعٌ نُورٍ فِي دَاخِلِهِ
يَاتِلِقُ فَيَنْشُرُ شِعَاعَهُ عَلَى الْوُجُوهِ الْمُحَيِّقَةِ بِهِ ... سَيَدْعُوكَ بِالصَّبْحَةِ وَالْهَدَايَةِ

وَيَضْحَكُ فِي وَجْهِكَ حَوْشٌ بِلَا نَهَايَةٍ التَّفَاحَةُ سَتَضْحَكُ وَتَهْمِسُ لِلْخَوْفَةِ ...
شَجَرَةُ الْكَرْزِ سَيَقْتُلُهَا الْخَجَلُ الْبَقَرَةُ سَتَجُولُ فِي مَكَانِهَا وَتَلْفُ الْجَيْلَ حَوْلَ
نَفْسِهَا هَكَذَا تُرْحَبُ ... الْقَمْلَةُ سَتَتَمَاوَأُ سَتَقُوسُ ظَهْرَهَا وَتَرْفَعُ ذَيْلَهَا وَتَحْنُكَ

عَلَى الْجَذَعِ نَاطِرَةً فِي قُضُولٍ .

السَّتَائِرُ سَيَهْفُهُهَا الرِّيحُ وَتَتَهَامَسُ عَنِ الْغَرِيبِ هَلْ تَرَاهُ سَيَقْضِي اللَّيْلَ عِنْدَ
أَهْدَابِهَا ؟

أَحْوَاضُ الْخَسِّ وَالنَّعْنَعِ سَتَتَخَافِي بَيْنَ أَحْضَانِ بَعْضِهَا الْبَعْضُ وَتَكْتُمُ الْإِنْفَاسَ
فَيَفْضَحُهَا الشَّدَى الْأَخْضَرُ

الْحَنْفِيَّةُ بِهَا كَزْكَامُ الرَّبِيعِ تُوَاصِلُ الْقَطَرِ فِي سَطَلٍ مُفْعَفٍ لَا ... لَا تَتَشَرَّبُ مَاءَ
الْحَنْفِيَّةِ سَاخُنٌ لَيْسَ يَرُوبِي هَذَاكَ بَعْدَ سَفَرِكَ الطَّوِيلَةِ الشَّيْخُ سَيُوَاصِلُ
التَّرْحَابَ وَالتَّهْلِيلَ ... يَدْعُوكَ إِلَى الدَّخْلِ ... وَيَتَرَاجَعُ ... لَكَ يَفْرَشُ الْأَرْضَ عِنْدَ

الشجرة الجذلى ... هنا أروح سيقول لك والصيف ضيف على الأبواب ... سيذعوك
إلى خلع جذاك وينادي العجوز في لهجة زاجرة سلطنة قديمة بدت منهارة في
صوت مبوح . سيقول لك إن النساء لعنة حلوة وإن المتاعب من ورائهن لا تحصى
لكن الحياة بدونهن لا نكهة فيها .

ستخرج " العجوز " بعد ريعانة رغم العمر الذي طار ممثلة في ود ... ووسائد
بين أحضانها وسلام وحياء ودعاء ...

ستجلس أنت ويا طيب الثرى ويرودته سيعزف لك الشاي في " البراد "
معزوفة ضاحكة ... وسيفريك خوخ مقطوف لثوه سابح في بركة من لجين ...
والخبز الدافئ إن غمز فانت مستجيب .

ستهب ربح باردة ترتجف لها الأغصان وقلبك ... وستنقل الجلسة إلى الداخل
... أراك محتاراً لكثرة الوسائد والحشايا وجلود الخرفان المنتشرة في كل اتجاه !
لا تعجب ما فرطت أمي مذ خلقت في جلد أضحية واحدة ستضحك من ثلاثة
فوقها جرة لتبريد الماء كذا يريد الشيخ ... ومثايح قديم ملفوف في قماشة فصلت
عليه كالقميص .

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

لا تستغرب إن رأيت على الجدار صورة لجمال عبد الناصر وأخرى لبورقيبة
وواحدة لشارل ديغول وواحدة للشيخ عبد الباسط عبد الصمد

لا ... لا تبالع في التأويل فلا ولاء في هذا البيت لأحد ... إنما هو إعجاب مزاجي
على نحو ما بشخصيات لهم منطق ما في قراة العالم ونظرة منهم تعجب
الشيخ أو نبرة تخليه أو حركة تضحكه إلى حد القهقهة

إن همس النوم فاستجب ولا كلفة ... الحشية التي تحت النافذة الشرقية تلك لي
.... ستبسط عليك العجوز لحافاً نظيفاً كما لو غسل بصابون الجنة ... وستنام الليل
كله كما في فقاعة من عطر ...

ويا صباح الندى ... والقرآن المرتل وفيروز خزامية الصوت تعبق ترانيعها ...
والحوش يسبح في الماء لبن البقرة لك أحضرته وخبز التور ... والقهوة بقشر

البرتقال تسكر لسانك لحدّ الخدر

* * *

صرّة الأحلام أخذتُ ورحلتُ نزلت ولم تحتضني المدينة باهتة الوجه
كانت باردة الضلوك غائمة كأنما تموت لم تضحك في وجهي الدكاكين مغلقة
والأقفال السّود فاعرة الأفواه كالنّعايين للتراب اصطخاب يذروه الرّيح فينتشر في
الفضاء ليضاعف الاختناق ... بدا الأطفال في قارّة أخرى ... رمقت أطيافهم قتبسوا
كنمل ضئيل ... ناديتُ مجهوداً ... يا أنت ... يا طفل ... يا نجم ... يا غصن .. لم
يبلغ صوتي أبعد من مداه ... وأحسست لساني كزاً لفرط الغبار وحلقتي
يتعطّش للماء وعيناك تحفران سوطاً من نحاس

شساعة المكان لم تترك لي مجالاً للشكّ ... النّاعورة الّتي قلت عن حكاياها
وملحمة الرّيح الّتي نسجت والماء صدّقيني لم أجدلها أثراً ... إلّا بعض ريش
متمرد مغتوت ... ومتقارراً محنّطاً ... لقلق النّهارات الوضيئة لعلّه ... إن بكيت
معدرة لاذع نقل الحقيقة .. وأنا الرّسول وما البلاغ إلّا عليّ ...

ARCHIVE

http://Arch

الخروية رأيبتها كالفورخ الخاوي إيتابني
قلتُ : بعضك هّا ... أرى على الأقلّ أين اتّسعت تلكم الأحداق وأفهم سرّ الأهداب ولون
القمح المشبوه بالعسل في تلك الشّغاه المرجانيّة مكتومة العويل سمعتها والورق
كان مختنق الأنفاس جهدتُ يا صفصافتي الحلوّة أن أستهدي إلى الرّزّاق لم يُنادني
... والمدينة صامتة كما بعد قصف ... بدت أزقة كثيرة ... متداخلة متشابكة كعروق
اليد ... واحترت أيّها إليه بعثتني وماذا لو عمّ الظّلام ولم أقف عند باب الدّار ...
مشروخاً تحفرني الحيرة وقفتُ ... متعباً كنت وبني كالنّعاس ... حلمت بالوسائد
والنّكايا والماء الرّاقص في إناء البرّد وهفت إلى الطّعام روعي تزويجت فسي
ذاكرتي روائح اللّحم المنقوع في الرّزّيّ والمرق المتبّل وشذى الرّند والخبز الدّسّ
والخوخة الهامسة والنّعنع الخجلان ... وحلمت أن أتمعّ بنشرة الأنباء من مذياع
والدك العتيق ...

وكنت في حاجة والسفرة طويلة أكلتني أن أرتاح ، أن أسند ظهري إلى الجدار ...
أن أغمض عيني وأنساق وراء صخب الورد والنجوم ... لكن الباب لم يناد نسي
والزهق لم يفتح ذراعيه ... واللّيل ضيف غائم قادم كالكاوبوس

قلت للشّيح الوحيد الذي مرّ في عبادة من تراب قانظ : « يا أبي باب أزدق
فرحان دلّني عليه ... وتوت أخضر على جبين الجدار » بالعصا أو مأوَمَرُ ...
يا جدار ما هذك ومن قشّر بياض اللّجين ؟ من أقلق عبير الجصّ فالتاع ؟ ويا
زرقة الباب الفرحان ما البحرُ كان أمامك ، ما السماء ؟ فما لها ألوان الفرحة تغيبُ
ومن خطّ ببحر الزّمن على الخشب فتقوُس ؟

قلت لي : خضرة أغصان ستحييني من فوق الجدار ... ما رأيتُ ... يباسا كان
وبقايا ورق ضامر وجِل ينتظرُ قصفَ الرّيح ...

طرقتُ بمجاميع قبضتي وظللتُ أنتظرُ بدأ البابُ محنطاً ... وطفقتُ أمّني النّفسُ
بترانيم القُبّاق ورقص الفرس وبقية الماء في الجرّة الباردة ... ومثيتُ ... ومثيتُ وما
بغير الصّدَى حظيتُ ...

قلت : يصلي الشّيح ؟! فقد يكون غاب في أوزاده ستائيني العجوز وقد فرغتُ من
ترتيب كتّوزها سأقول لها : أتيتكِ بشالِ البرسم " وللشّيح أتيتُ بمسبحة العنبر
ومرّش الزّهر وطحين البنّ الصّافي ... وسلام من البنت البعيدة

... تتعلّت السماء بغيم كتيب وحثّحت الرّيح الأغصان فتهاوى الورد يتحشّرجُ ...
وصرّ الباب مفزعاً وخيل إليّ أن الجدار سيسقط لكنّي تماكلت . قلتُ أطرقُ من
جديد ... وتذكّرتُ قرط الباب الأسود وصوته الصّادي ... مددتُ يدي أتلّمس الحلقة
... سقطت مني باكياً كهذب عاشق ... وخرّ الباب مفقوتاً في لوز التّبغ ... ولما
نظرتُ إلى الحوش بداً بعيداً كما لو في قارة أخرى ... وأبصرتك طفلةً في غمامةٍ
من عطر أزدق والشّفاء ضاحكة كخوخ قمرِي والجديلة طويلة كالنّهر والدوامة
محزّمة بألوانها الفرحية تنور وأنت تحاولين الحفاظ عليها في كفك المخضب قدّ

فكتوريا

بقلم : عادل عبد القوي

كانت " الرينو - إكسبرس " الحمراء تتسلق جبال الكاف في تلك الليلة من عيد الميلاد . وتراءت للزوجين العائدين أنوار المدينة النائمة على المنحدر ، غارقة في حلم شتوي حزين .

- أنظري ، تلك هي القصة التي حدثت عنها ... لقد وصلنا .

ولكن " أن - ماري " لم تتكلم بل غفمت ، ثم التفتت وراءها تنظر إلى ابنتها الصغيرة نائمة وقد مال عنقها الأبيض قليلا ، ومغطت عينيها ووجنتها المتوردة نوابة من شعرها الحريري الأصفر ...

- إن العائلة ستفرح بنا كثيرا ... وستفاجئين أنت بذلك أيضا ...

السماء كلمى ودموعها الطليخية تنساب هائلة على نقوبات السطوح والقباب والأزقات الحجرية الصامته ، فتحدث همسا كنواقيس المدارس القديمة ، وترسل عطرا ضبابيا يخرج من الجدران كيافات الزنابق البرية المتوحشة ...

(2)

التقى الجميع في " الصلاة الكبيرة " ، الزوجة بفستانها القطني الناعم ، والإبن الذي أنشبت عينيها المتوهجتين في تفاصيل الغرفة يتحرق شوقا وحنينا ، والأم ضمت إليها حفيدتها الصغيرة تناغيها بين الحين والحين ، وتخرج لها من " غمرتها " قطع الشكلاطة فتلتهم البنت بشراهة كبيرة ، ثم تسترسل تقبلها في كل مكان من وجهها الشمعي . أما الأب ، فمكث بعض الوقت يصعد النظر مرة في هذه الزوجة التي لم يحسب لها حسابا ومرة أخرى في هذا الإبن العائد إليه بعد غيبة طويلة ثم ، فجأة انفجرت صانحا

فيه : - لن أبقى معك في البيت طالما أنك متزوّج من هذه "الفرنساوية" .. ليست
منّا في شيء ... ماذا سيقول عنّا الناس ... ثم نهض مغضبا فارتج الباب وراءه
عند الخروج ...

كان محمود يعلم أنّ أباه لن يقبل منه هذه الزيجة ، ولكنه ظلّ مستعدّا في
قرارة نفسه - لدفع أحد القضاء ين

(3)

لم تجتمع العائلة بعد تلك الحادثة ، ولا كان من الأب سعي إلى التراجع ... بل
أصبح يظهر العداوة للزوجة ويضمرها ... مرة تزينت وخرجت لبعض شؤون المطبخ
في غياب زوجها محمود ... عندما رجعت لم يسألها عن سبب هذا الخروج بل
عاجلها بالضرب القاتل على جسدها الذائب نعمة وأشبعها شتما مقدعا مريرا .
- جلبت لنا العار كلّهُ ... أخذت منّي فلذة كبدي .. ماذا جئت تبغين أيضا حتى
الآداب استبحتها ... عودي إلى أهلك "الأقطاء" يا خبيثة

كلّ ذلك يجري والبيت الصغيرة "فكتوريا" معلقة بطرف من ثوب أمها ، تتخفى
وراءها ... والجدة تلطم وجهها وتندبه ...
صار البيت جحيما لا يطاق . مكثت العداوة فيه أطرافها ... الحانات تلتهم
"محمود" منذ عام ... تفتتت روحه أكثر بعد وفاة أمّه التي كانت سلواه الوحيد ،
والتي ماتت بدموع لم يرها يوماً تسيل ، فتخفّف عنها غطسة اللزّوج منذ أربعين
سنة كاملة ... وما فتى محمود أن كادت له زوجته فهربت إلى فرنسا مع صديق
يسرّها الأمر

(4)

مضت أمواج السنين ينهدّ لها جسمه المكود ، وتفتح في روحه ثغوب الإهتراء
والتاكل ... ومحمود يقاوم ويسدّ على ابنته فجاج الفرق والبلى والضياح ...
ولكن الأشرعة أستهلكت ، ولم يجد ما يرقع به عمره الباقي . كان كلّما استمع إلى
بكاء ابنته أحسّ ببوابات العدم تصفق في وجهه هازنة ، وأن كلّ قذارات النسيان تقياؤها

الأرض وصَبَّتْها على قلبه ... فكان يغسل جسده منها بكؤوس البيرة ' ينجيها فتتَمَنَّع .
خاف على ابنته من نفسه ، ومن المرض والإفلاس والموت ، فتزَوَّج من ممرضة في
مثل عمره الذي لا يعرفه ... ولكن الزوجة الجديدة حَلَّت كالعنكبوت القاتل بالبيت ،
تفكّ الخيوط الواهنة الأخيرة التي ما زالت تشدّه إلى ابنته ، كان يرى ذلك ولا يتكلّم
... وكان كلّ يوم يبتعد عنها أكثر فأكثر ... لا يسمع منها غير صراخ يصدُّع له قلبه
، يملأ أعماقه منذ مدّة لم يعد يستمع من صراخها هذا أو بكائها كان يراها
واجمة أو كالواجمة فيقنع بذلك ، حتّى زوجته أصبحت تتناول عليه ، تدخّن أمامه ...
ليس لها وقت معيّن تعود فيه ... وما كان له أن يسأل كما ليس الآن لابنته وقت
للأكل أو للنوم أو المراجعة فالبیت تملّكه الغرباء

على السرير امتدّ جسمه البائد ، لأنّ الطبيب نصحه بذلك ، وحرّم عليه كلّ
أنواع المسكرات ... والزوجة الممرضة تفرقه بالحقن حتى يذبل قبل الألوان ...

كلّ صباح يمتلئ قلبه المضمني بأشياء لا يفهمها ... فتجري الحياة في أنفاسه
كالماء ... عندها يتذكّر أنّ " فكتوريا " جاءت تطبع قبلة صباحية على خدّه قبل

<http://Archivebeta.Sakhrit.com> .. ذهابها إلى الدّراسة ..

هو لا يملك لسانا يدعولها به ، ولا قوّة يصحبها بها إلى المعهد القريب من
البيت ... ولكنّه يملك بقيّة من روح تجترّ القبلات المنعشة التي ترويه كلّ صباح في
انتظار الحقن التي ستأتي

(6)

كانت نواب أّشجار الصنوبر تميز متوشّحة بقبعات الثلج البيضاء ... لم
أعرف في حياتي الثلج ... ولكنني كنت أستمري رائحته الرطبة .. وكنت أسمع تحت
قدمي المصقّعتين حشرجة الثلج البائت على الرّصيف وأنا متّجه إلى المعهد ، وأمامي
أطفال في عمر الصّباح المثلج ، يتقاذفون بقطع مكورة يصيبون بها بعضهم البعض .
دخلت قاعة الدّرس ، ففمّرّرتني عيون ممثلة إشراقا ، وملاً سمعي همس ملائكي
صاحب كآصوات الطيور ...

كانوا ينفذون معاطفهم القطنية والصوفية الصغيرة المثقلة بالماء البارد ،
والمبرقة بنجوم بيضاء متلائة .

كانت كلمة " حاضر سيدي " تنهال عليّ كذكريات الصبا وأنا أجري المندادة
لما فرغت بعد ذلك من الدرس ، حطت حولي تلك الطيور ، وأطلت الشمس من خلف
ستائر السحب الرمادية فأحرقت شموع الضباب لتتير به هذا النهار الجديد ،
تجاذبنا حكايات حول الثلج واللعب والعراك ... وكنت كمن يتلمهز بنكاتهم
وابتساماتهم . فجأة أطلت نادية بمعطفها الأسود ، ومحفظتها التي ألقت بها على
كتفها وهمست " سيدي ... لي كلام أريد أن أقوله لك على انفراد " نطقت بذلك
بإيقاع باريس عتيق

(7)

لما فرغت القاعة من العصافير التي انتشرت في الساحة محدثة زقزقات صاخبة ،
بادرتني بجسم مرمرى كأنما نحت من نهر السين ... وفككت أزرار ميدعتها البيضاء
وقالت : « انظر إلى هذه الجراح » كان الدم القاني قد جف على ثيابها ، وفي كل
مكان من صدرها امتدت آثار الخدش مقرومة وهمت أن تواصل غيـر أن العبرة
استبدت بها ... لست أعلم بعد ذلك إن ذكرت شيئاً ... لأن الدم جعلني أشعر
بالقرف ... إنها بدت كالعصفور الذي داهمته فوانيس السيارة في الظلام فأصبح
يجر جناحين هضيمين ... ثم أدركت بعض كلامها الذي قالت فيه : إنني أتعذب يا
سيدي فأننا وحيدة ، أسكن مع زوجة أبي توفي منذ سنوات ... بيتنا يا سيدي
صار مفتوحاً كل الأوقات إنها تقترف أشياء مخجلة ... وغرقت في أمواج عينيها
العاصفة ، كانت زرقعة الأعماق قد استحالت سواداً وضباباً أسطوريا تتماوت فيه
الأمهات الدفينة ...

كانت هناك شطآن بلا مدى ، تعلوها أمواج الدموع التي فاضت فانسابت على
خديها تقطر على الجروح المفتوحة في صدرها ... ولكني كنت أنا البحار الوحيد
الذي أدركته العاصفة في عينيها (8)

أدخلت يدها إلى جيب معطفها وأخرجت منه صورة ملونة صغيرة قد تآكلت أطرافها ... : « هذه الصورة لأمي اسمها " أن - ماري " لقد سافرت إلى فرنسا منذ سنوات ، ولا أعرف عنها شيئا ... أريد أن ألق بها ... أريد أن أهرب من هذا العذاب المميت ... سيدي لقد قيل لي إن السفارة الفرنسية تستطيع أن تعدني بعنوانها ... ربما تحتفظ هناك ببعض الوثائق عنها ... » ثم طوّقتني بيديها الصغيرتين فغبت في شهادتها المتأججة ...

كنت كمملكة قديمة ... وكانت كمن اكتشف الأبواب المشرعة والأسوار المباحة ... أتكنى على الجراح ... أو على الدُموع ؟ ... أقول لا أو نعم ... أتأمل هذه الفتاة ، تلميذتي نادية أو " فكتوريا " كما كان يحلو لي أن أناديها أحيانا في القسم وفي أوقات الدراسة ...



كان بودي أن لا أكتب شيئا ولكني كتبت



كان بودي أن لا أكتب شيئا ولكني كتبت .
أنت لا تعرفين ماذا الكتابة عندي ولا ماذا رسائلي
كتاباتي ... رسالاتي : الواحدة منهن لا تخرج إلا بموكب رسمي ولا تضاء
إلا بتتور أعصابي ووقود أيام من الزهد والسهر والعزلة .
رسالتي ... مرايا يا حين أكون مجرداً من كل أقدعة الحضارة والتحضر ...
ويغايا يا حين أشعر أنني لم أمارس العشق من زمن الصهيل .
رسالاتي ، سفيراتي حين أوفدهن لمن أحب ، حبيباتي حين أخضبهن حناء وحين
أصقل بالشعر وجوههن وأصقلهن وأمشط بالقلب شعورهن وأهدابهن وحين
أصوغ ملامحهن من ملامح من أحب ، ومن مدامع من أحب ومن مواجع من أحب
ومن لواجع من أحبه ... رسالاتي ... صديقاتي اللاتي أبيت الليل أراوذهن أغازلهن
وأرسمهن من قلبي ومن وجعي الطويل ويعدها كم أشقى لأرسلهن .
حين تتشكل الواحدة منهن وتكتمل فائتة وأجهزها كم يعز علي الإستغناء عنها
وأرفضه وكم يصعب علي أن أفارقها وتقبع أياماً فوق تابوتي الحزين وتحت ملامعي
وقد أرسلها أخيراً وقد ألفي عليها تذاكر السفر .
كتاباتي أشعر أنني حين أرحلها أرحل فلذة مني إلى ساحة الوغى قد تعود منها
وقد لا تعود إلى الأبد .

رسالاتي .. تجلياتي حين أكون خالياً من كل ملابسي ومن جميع أرديتي كيف
أنشرها وكيف أهديتها لغير من أحب .

حين أكتب أشعر أنني أتجرد من كل شيء إلا من الحقيقة ... أتجرد من أوهامي
ومن أحلامي ومن شاعريتي حتى ...

أتجرد من كل شيء ولا أرتدي غير مواجعي والكتابة ، فلا مداراة صابر ولا هالة
متكبر ولا تأنق شاعر ولا جلالة سلطان ولا أكاديمية أستاذ ولا كبرياء عاشق ولا
تعفف طاهر .

حين أكتب أشعر أنني أرتد إلى زمن الطفولة وأني أحترف الإحتراق بأعواد
الكبريت وكونين الجمر ومناقض الرماد .

أظهي بأعواد النقاب وأتلفذ بكل مازوشية بجراحاتي ولا أبكي وإن سألت ماقي
جارية .

حين أفتح جاب الكتابة أشعر أنني أدخل بوقار دير سانت كاترين (Saint
catherine) كأخ الكهنة فاحترق بشمس سيئاء وأعبر القناة وأمضي تحت نخلة
العذراء فألقى المسيح ما زال طفلاً يتكلم وأكل من الرطب وألقي كل أوزاري وأتعمد
بطهر الكتابة ورجس الشعر وأصلي لتمثال من أقدسها وأرسل على مسامعها
ما تعسر من سوى العشق وآيات الذبول والذوبان وأنذر حتى الهزيج الأخير
فتذبل كل عيون الليل في نوري وفي بصري .

حين أفتحم الكتابة ، أستحضر كل ما قرأته عن حالات التقبض وارتداء الأرواح
فاتقمص المسيح بقداسته وإني شداد بشدته والمتنبهي بكل أرقه وغروره وديك الجن
بشعوبيته وإنحرافه .

أنقمص كل هؤلاء فأكتب بالطهر حيناً

وبالكفر حيناً ... وبالزور والافتراء

وأكتب بالحب والحزن والحدق

وبالبرد والحر والإكتواء

وأكتب بالصيف أو بالربيع
بفصل الخريف وبفصل الشتاء
وأكتب كيف الكتابة تغدو مواسم عشق
وتغدو المواجه فصل بكاء
وكيف تصوير الحبيبة أرضاً خصوصاً
قد سقيها حباً بكون عياء
وتنهش جسمها طولاً وعرضاً
ونرشف من شفتيها دون إرتواء
ونزدرع في مسمعيها كلاماً جميلاً
ونحصد من صمتها عتاً العناء
ونشعر حين نلامس فاهديها بأننا
نطول النجوم ونغزو الفضاء
ونروي إلى الناس كيف إصطفانا الإله
وأسرى بنا ثم أخرج نحو السماء
ونقتنعم بعد عودنا أن الكتابة صدق
وأن شعري ليس فيه افتراء
وأن الملائكة والناس لا يكتبون
وأن الكتابة حكر على الأنبياء
فيا عاشقي الشعر صلوا علينا
فما لشعر إلا نبوءة
وروح الصلاة الدعاء

* / *

كان بودي أن لا أكتب شيئاً
لكني كتبت

كان بودي أن لا أشرك بالله فأشركت
ولقد كتبت مذ عفرت
وكفرت مذ أشركت
وأشركت مذ أحببت
وعرفت الحب مذ عرفتك أنت
مذ عرفتكِ

غارت في الأفق خارطة الكون
وارتبت داخل موعده جدول الأزمان
تشابكت الأنهار ... تداخلت الشطآن
جف البحر الأحمر والأسود والأبيض
ويحر القزوين وإيرلندا ويحر اليابان
وغار بحر الصين والسكوة والأيوبي
ويحر تيمور ويحرا العرب وعمان
وشعرت بأن عينيك هما البحر
وبأن أهدابك أحلى الخلجان
وأني البحار وأني المغوار
وأني الفاتق والناطق باسم الله
من شرق الهادي حتى خليج العربان .

*

وأشعر سيدتي حين ألتصق
أن الأرض تحترق تحت لظى شفقتك
ويعم الدنيا حين أقبلك الطوفان
فأحس بأنني نوح بيني الأفلاك
وينجو ومعني من كل ترويجين إثنان

فاكلم كل طيوي الدنيا
وأبث حكمتي فيهم مثل سليمان
وأكتب كل كتاباتي وما كان بودي
لكن ما قدرني وبشعري هو الفرقان

* / *

ما كان بودي أن أكتب عن عينيك
ولا عن ما بهما من سحر وبيان
ما كان بودي أن أصف البحر بعينيك
ولا أن أتباهي بأبهي الأوطان
فجيبنيك سيدي وطني

وعيناك شواطئ مرجان
شفقتك أحلى قناديلي



ونهداك أشهى عناقيد الرمان
ويداك حين أنام أحلى وساداتي
وصدرك حين يأنسني برأمان

فأنام بحجرك كالطفل بأحلامي
وترحل عني كل نفايات الأحزان

في أروع أن أكتب عنك سيدي
فاكتب عندئذٍ عن أحلى النسوان
فوجهك يسبيني حين يصادفني
يصغفني ييوسني دون إستئذان

يفتالني ثورك وضاح

تذبحني برمشمهما العينان

يقطعني قدك مصقول كالسيف

وتدهسني كقاطر تين نهدان
يكسوني شعرك كفن حرير
وتغسلني بطلهما الشفتان
ترهقني شفتك فمعذرة

لو إختلكت في شعري الأوزان

ما كان بنيتي أن أكتب شيئاً في البدئ

لكني كتبتُ وكانَ ما كانَ .

الامراض الصدرية والرئوية والحساسية

في رحاب العلم رحلة في أعماق الحكيم الدكتور حافظ عوين

إعداد : عبد المجيد زين العابدين

ملاحظة توثيقية

* الرقم (1) يعني المجيب أو الشارح

* الرقم (2) يعني السائل أو المستفسر

(1) إنّ الاضطرابات التنفسية خلال النوم معروفة منذ القدم وفي هذه السنوات الأخيرة أثارت انتباه المختصين فيزيولوجية الأعصاب وكذلك أيضا أطباء الأمراض الصدرية والرئوية وأطباء الأذن والأنف والحنجرة. ووعيا من هؤلاء الباحثين بأهمية هذا المشكل المتمثل أساسا في الاضطرابات التنفسية خلال النوم تجنّدت عدّة فرق طبية في العالم وهي تبذل جهودا لإيجاد الحلول لهذا المشكل أثناء أعمالهم الطبية اليومية معتمدة في ذلك على أحدث الآلات ووسائل العلاج. وكان للدكتور حافظ عوين دورة في استجلاب هذه الآلات الحديثة في معالجة الأمراض المتعلقة بالجهاز التنفسي.

(2) فمن هو هذا الحكيم ؟

(1) هو أصيل مدينة قصر هلال من مواليد 30 ماي 1950 متزوّج من وسط عائلي متواضع تحصّل على البكالوريا سنة 1970 بتونس ثمّ التحق بكلية الطب بتونس ولم يتسنّ له أن يبقى في الدّراسة هناك إلّا مدّة سنة فقط لدراسة الترويض العام (=Kinésithérapie) ثمّ التحق بكلية العلوم ببروكسال تجنّبا للجوّ الدّواسي الخانق نتيجة الاضطرابات الطالبيّة في

تونس عهدئذ أي خلال سنة 1976 ولم يغادر بروكسال إلا وقد تحصل على دبلوم في الطب العام في سبتمبر سنة 1984 ومن ثم يم فرنسا والتحق بكلية الطب ومستشفيات مدينة أميان (=Amiens) هناك زاول دراسة الأمراض الصدرية والرئوية والحساسية وقد أنهى دراسته العالية ونجح في هذا الاختصاص سنة 1989 في شهر سبتمبر حيث تحصل على دبلوم الدروس التكميلية (الختامية) في هذا التخصص، والحصيلة خمس سنوات للحصول على دبلوم التخصص منها سنة إضافية لزيادة التضلع في هذا الميدان، وفي شهر فيفري سنة 1990 قرّر الرجوع نهائياً إلى البلد بعد غياب دام أربع عشرة سنة، وهو يعمل حالياً طبيباً مختصاً في الأمراض الصدرية والرئوية والحساسية وترويض الجهاز التنفسي بسوسة.

(2) وماذا عن اكتشافاته أو إضافاته العملية ؟

(1) منذ سنة 1980 إلى غاية سنة 1989 قمت شخصياً في نطاق عملي بالمستشفى الجامعي باميان رفقة ثلثة من زملائي بقسم الأستاذ ليفي فالانسي (=Lévy Valensi) بدراسة ظواهر مرضية تتعلق بحالات انقطاع النفس أثناء النوم لجيز وجيز من الزمن مما يشجر عت أحيانا الموت المفاجئ الناتج عن اضطرابات قلبية هي ذاتها ناتجة عن قلة وجود الأكسجين بالدورة الدموية بالإضافة إلى تفاقم الغاز الكربوني مع اضطرابات المريض أثناء النوم. ومن الأعمال التي قمت بها داخل مخبر تسجيل الإضطرابات النفسية أثناء النوم تجربة أجريناها على مائة وخمسة وأربعين مريضاً انتقينا منهم ثلاثة وتسعين مصاباً بالمرض الرئوي في مختلف أنواعه، فهل تريد أن أذكر لك أهمها ؟

(2) تفضل ، لك ذلك

(1) إذن فاهم أنواع المرض الرئوي :

- (أ) أمراض التهاب القصبات الهوائية المزمنة الناتجة عن التدخين المستمر
- (ب) مرض الفدة عافانا الله جميعاً منه.
- (ج) الظواهر المرضية الناتجة عن اعوجاج القفص الصدري وهي متنوعة

يعبر عنها بالفرنسية (Syndrome restrictif dû au cyphoscoliose)

(2) إن دراسة هذه الظواهر المرضية التي كنت يصدد ذكرها لا بد أنها قادتك إلى ملاحظات والت بك إلى نتائج ملموسة فهل لك أن تشف أن أسمانا بهذه الثمار الجنية ؟

(1) ... وإنني بذلك لسعيد، فأهم هذه النتائج : (BPCO)
(أ) أن هناك علاقة ربط بين بي بي سي أو (BPCO) وهو ما نعني به حالة المصابين بأمراض رئوية وقصبية مزمنة وبين أس 1 أس (SAS) وهو ما نعني به ظاهرة توقف التنفس في بعض الحالات
(ب) ومن النقطة الأولى تساءلنا عن مدى ضرورة تسجيل النوم عند أصحاب بي بي سي أو لتشخيص ظاهرة أس 1 أس وأدى بنا هذا التساؤل إلى علامات تكون لنا بمثابة إشارات حتمية إجراء تسجيل أحداث التنفس أثناء النوم أو بمباراة أخرى تشخيص ظاهرة انقطاع التنفس لدى هؤلاء المرضى وهنا لا بد من الإشارة إلى نقطتين هامتين :

* أولاها :
تتعلق بحالة المرضى المصابين بالسمنة إلى جانب إصابتهم باللهات والضييق التنفسي، وهذه الحالة عادة ما تكون مصحوبة بالشخير وفيما أسنتنتج أنها مصحوبة بتفاقم الغاز الكربوني (CO2) في الدورة الدموية فتجعلها غير عادية وينجر في مثل هذه الحالة لدى هؤلاء المرضى حالة شبيهة بالتخدر لمدة وجيزة من الزمن مع العلم بأن هذه الحالة كانت معروفة بظاهرة البيك ويك (Syndrome de Pickwick) الذي يعود إليه الفضل في اكتشاف ظاهرة انقطاع التنفس عند أصحاب السمنة سنة 1937.

* ثانيتهما :
تتعلق بنتائج غير كافية العلاج بالأكسجين عند هؤلاء المرضى الذين تجتمع لديهم حالتان مرضيتان وهما بي بي سي أو و أس 1 أس الموجود خاصة عند المدخنين والمصابين بالتهاب القصبات الهوائية المزمنة. وهنا التجأنا إلى طريقة علاج مزدوجة تلتقي فيها المعالجة بالأكسجين وما نعبر

عن بالفرنسية بـ PPE أي اختصار لعبارة - Pression positive expiratoire con-
tinue وهي عملية تقوم بها عن طريق آلة صغيرة احدث ضغطا إيجابيا في
القصبات الهوائية مما يقلص نسبة ظاهرة الشخير أو يزيلها تماما كذلك
.....انقطاع 38*3838**+38 ظاهرة +
التنفس فجأة.

(2) وماذا عن الآلات المستحدثة في هذا الميدان ؟

(1) لا بد أن أسجل أن المخبر التسجيلي الذي حدثت عنه منذ قليل
يقتضي أموالا طائلة لاقتناء الآلات اللازمة لتسجيل أحداث تنفسية من
ضمنها :

* تسجيل الحركة العقلية (Electro Eméphalogramme - E E G) وهذه الآلة
التي تشخص أنواع النوم منها النوم البطيء والنوم المضطرب الذي يطلق
عليه بالفرنسية Sommeil paradoxal

* تسجيل حركة الذقن (Electromy ogramme)

* تسجيل حركة العين

* تسجيل التبعثيم الأوكسيمي فلوبيديني (Saturation de l'hémoglobine en
oxygené)

<http://Archivbeta.Sakhrit.com>

وذلك بواسطة شبه قرص يوضع على شحمة الأذن

* تسجيل الكمية الهوائية النافذة إلى الرئة عبر الأنف والفم بواسطة
آلة لقيس الدرجة الحرارية تطلق عليها بالفرنسية : Thermistauce

* تسجيل تحركات القفص الصدري والبطن مع الملاحظة أن كل هذه
التسجيلات مرتبطة بعقل الكتروني صغير يمدنا في نهاية فترة النوم
بوثيقة بيانية لما حصل خلال نوم المريض وبهذا يتمكن طبيب الأمراض
الصدرية من تحليل هذه التسجيلات وتشخيص نوع المرض ومن هنا ينطلق
إلى تحديد كيفية العلاج الصالح لمريضه والمتأمل في إمداده بالأكسجين أو
بآلة أخرى تسمى سيباب (CPAP) بمعنى الضغط الإيجابي المتوسط في
نهاية التنفس وهي تسمية انكليزية مختصرة أو بالجمع بين الطريقتين
أعني مده بالأكسجين بالإضافة إلى استعمال هذه الآلة الضاغطة فهذا ما
يدعو إلى ملاحظة أن هؤلاء المرضى يصبح نومهم هادئا خاليا من الاضطرابات

والشخير. هذا ويوجد حاليا في السُّوق الأوروبية آلة صغيرة في حجم الترانزستور تسجِّل كل الاضطرابات التي تحدث للمريض خلال نومه وتسلم هذه الآلة للمريض ليضع تسجيل اضطرابات نومه خلال الليل أو القيلولة في منزله وهو بدوره يسلمها من الغد إلى طبيبه المباشر للوقوف على التحليل.

(2) لقد ذكرت لي إلى حدّ الآن أدوار هذه الآلات بصفة عامّة ولم تعين لي أسماء بعضها وأدوارها بصورة دقيقة ؟

(1) كائنّي أراك تسبقني إلى ما أريد شرحه وبيانه، فشكرا لك على متابعتك التّبيهة إنّ من هذه الآلات المنظار الذي لا تعدّ أدواره ولا تحصى منافعه وكذلك آلة قياس التنفّس هذا إلى جانب آلات علاجية أخرى أقلّ أهميّة من سابقتها دون أن ننسى الأدوية البخاريّة.

1- المنظار :

هذا المنظار يكشف عن القصبات الهوائيّة بصفة مباشرة بينما الآلة الكلاسيكيّة التي كان يستعملها الأطباء سابقا كانت قاسية على المريض إذ هي متكوّنة من قناة صلبة تنفذ إلى القصبة التنفّسيّة الكبيرة وهذا يقتضي تخديرا عامّا لكامل جسم المريض وأجتنابا لخشونتها وقسوتها حلّ محلّها المنظار الينّ (Flexible) الذي يسمّى بالفرنسيّة Fibroscope flexible، ونظرا لمرونته وطواعيته فإنّه لا يستدعي إلّا تخديرا جزئيّا للحلق ولا يستغرق الفحص به أكثر من عشرين دقيقة. وهو يمكّننا من النظر المباشر إلى القصبات الهوائيّة انطلاقا من أكبر قصبة إلى أصغرها بما فيها قصبيّاتها النائية داخل الرّئة. ولقد مكنتنا هذه الآلة العصريّة من الوقوف على مكن داء السرطان ولهذه الآلة أدوار عديدة أخرى لا يتّسع المجال لذكرها الآن.

(2) يسعدني أن تتحدّث عن بقيّة أدوارها ولو بإيجاز.

(1) نزولا عند رغبتك أقول إنَّ من أهم أدوارها أيضا أنَّها تمكَّننا من :
 * استخراج جميع الأوساخ أو الترسبات داخل القصبة الهوائية
 * إرسال مادة السيروم لغسل الحويصلات الرئوية عبر القصبات
 الهوائية ودراسة شكل الخلايا وتشخيص المرض منها فيروس السل .
 * بعث نموذج للمخبر وتشخيص الجرثومة .
 * إيصال أدوية ضدَّ الجراثيم في أماكن الإصابة ولها أدوار غير ما ذكرت
 ربَّما عدنا إليها في مجال آخر .

أما عن بقية الآلات فالى جانب المنظار أذكر لك آلة ثانية وهي آلة قيس
التنفُّس، ويتمثَّل دورها في قيس التنفُّس بطريقة عصرية بواسطة عقل
 إلكتروني يعطينا في آخر الأمر نسخة توثيقية للتسجيل التنفُّسي الذي لا
 يستغرق أكثر من ربع ساعة بالنسبة للمريض الواحد. وفوائد هذا
 التسجيل عديدة، فإنَّنا نستطيع بها أن نعيِّر بين مرض الغدة والأمراض
 الأخرى للقصبات الهوائية والرئوية عافانا الله جميعا منها مع الإشارة إلى
 دور السكانارُ حاليًا في تشخيص بعض الأمراض الخطيرة خاصة السرطان
 في بدايته.

(2) هذا ممَّا جدَّ في الآلات وأدوات المعالجة فهل من جديد في ميدان
 الأدوية؟

(1) نعم هناك الجديد في ميدان المعالجة بالدواء وهو يتمثَّل في نقطتين
 هامتين أولاهما : تناول الدواء مرتين عوضا عن ثلاث مرَّات وتعدد فاعليته
 لمدة اثنتي عشرة ساعة عوضا عن ثماني ساعات بالنسبة للطريقة
 الكلاسيكية . ألا ترى معي أنَّ في هذا ما يخفِّف على المريض وطأة الدواء ؟
 ومن أهم الأدوية التي تأكَّدت نجاعتها في هذه الطريقة دواء التيوفيلين
 البطني .

ثانيتها : الأدوية البخارية

هذه طريقة دوائية جديدة تتمثَّل في إيصال الدواء للمريض على شكل
 بخار يحصل مباشرة في القصبات الهوائية وفي هذا النطاق نذكر دواء
 الفنتولين (Ventoline aérosol) على سبيل المثال وكذلك الكرتيزون. هذا وإنِّي
 أستعمل في معالجة مرضاي آلات تمكَّننا من ترويض جهاز تنفُّس المريض

وإعطائه الدواء المناسب بالطريقة البخارية بواسطة هذه الآلات العصرية. ولنا آلات تعيننا على إخراج التنخيمات والترسبات والبلغم داخل القصبات الهوائية مما يقي المريض من حصول التعفن داخل القصبات الهوائية وتدوم كل حصّة ثلاثين دقيقة إلى أربعين دقيقة تتكرّر ثلاث مرّات خلال الأسبوع.

(2) يقال إنّ هناك نقاط التقاء بين ترعات الإنسان في صباه ومهنته التي يزاولها عند كبره. فماذا تقول؟

(1) أذكر أنّني في عهد صباي زمان البراءة وتنشيد قصور من الأحلام الطفولية كنت كثيرا ما أتقمّص دور الطبيب المعالج فيما يتقمّص لي أنّني سائر الأدوار وهناك نقطة أخرى هامّة دفعتني إلى اختيار هذا التخصص في الأمراض الصدرية والرئوية والحساسية وهي أنّ والدي كان يعمل في الأشغال العمومية وبحكم التلوّث وتأثير القطران السلبي على جهازه التنفّسيّ عند تعبيد الطرقات أصيب بالسرطان الرئوي وما كان لهذا المرض عاقبي الله الجميع منه أن يدعه إلا يهلكه. وقد كان دائما يتمنّى أن يراني طبيبا إلا أنّ القدر لم يمهله ويسعده بأمنيته حيّا. ولهذا الحدث أثره الإيجابي على نفسي وعلى هذا الاتجاه العلمي حتّى أرغب فيه دون غيره.

(2) أخصب فترة في حياتك ؟

(1) هي الحياة الطالبة بما فيها من صعوبات كذلك الفترة التي قضيتها في درب التخصص بالمستشفيات الجامعية بفرنسا والليالي العديدة التي كنت فيها طبيبا ليلياً بالمستشفى (Docteur en garde) والتجربة التي اكتسبتها رفقة زملائي وخاصة في قسم الإنعاش الرئوي (Réanimation de pneumologie) والحالات المرضية المتعدّدة التي اطلعت عليها خلال خمس سنوات قضيتها بالمستشفى الجامعي بمدينة أميان والتي أكسبتني خبرة عريضة في هذا الميدان وخاصة عندما زاولت الطبّ الإستشفائي. هذا مع التذكير بأنّي عهدت كنت طالبا في بروكسال بكلية الطبّ بدون منحة. وأمثالي من الطلبة التونسيين عديدون محرومون من هذه المنحة وكم هم الطلبة الذين أسرعوا إلى العودة إلى تونس بعد أن لم يتمكنوا من مواصلة مسيرتهم في دراساتهم العليا، بينما الأجانب أغلبيهم أغنياء وإمكاناتهم

المالية متوفرة وميسورة، كنت عهدئذ أعمل بالليل منطلقاً في الإدارات وغاسل صحون وأدرس بالنهار.

(2) أعمالك المستقبلية ؟

(1) أعتزم تطوير كيفية ترويض الجهاز التنفسيّ بمزيد من الآلات العصرية زيادة على ما هو موجود عندي حالياً وإنني بصدد دراسة ظاهرة انقطاع التنفس عند النوم (Syndème des apnés du sommeil) لدى المصابين بالأمراض الرئوية لكن البحث في هذا الميدان يجري حالياً على قدم وساق في أوروبا وأمريكا وكثير من بلدان العالم ذلك أنه ميدان جديد مازال العلماء والباحثون يبحثون عن أغواره ويؤسسون قواعده ويشخصون مختلف حالاته كما أنني أرغب مستقبلاً في أسس عيادة مختصة في مقاومة التدخين باستعراض أضراره وتوعية المدخنين بها وإمدادهم بأحدث الطرق لردعهم عنه.

ARCHIVE (2) أمنيتك ؟

(1) بعد استقرارني ببليدي ووسط بني جلداتي أمل أن أفيد بني وطني بما اكتسبته من تجارب في هذا الميدان ترتكز أساساً على حسن استغلال هذه الآلية العصرية للمعالجة وتعريف المواطنين بفوائدها وتوعيتهم وخاصة المدمنين منهم على التدخين بما يحدث الدخان من إصابات على مستوى الرئة والقصبات الهوائية أنكر منها خاصة الأمراض المزمنة والسرطانية عافى الله الجميع منها وفي هذا الإطار أؤكد القاعدة المعهودة : «الوقاية خير من العلاج». كما أسعى رفقة العزائم الصادقة إلى المشاركة في بعث اتحاد وطني للعلاج الوطني بالنسبة للقاصرين عن التنفس.

الجمعية التونسية للإبداع القصصي :

بالقلعة الكبرى

قراءات قصصية وشعرية ومحاضرات

إعداد: صالح النوالي

انتظم يوم 29 جانفي 1994 بالمكتبة العمومية بالقلعة الصغرى اللقاء الثاني في سلسلة الأنشطة الأدبية والفكرية المزمع إنجازها على امتداد الأشهر الأولى من هذا العام ، وتمثل هذا اللقاء في قراءات قصصية وشعرية لحبيب رمضان وحسين العاقل ونصر الدين الخليفي وعبد الواحد السويح وإيمان عمارة والهديلي الدلالي ونبيلة بن الأزرق ونجوى بن جازية .

وقد أشرف على هذه القراءات كل من الأستاذين مصطفى بو عبيد ومحسن العامري ، وأوضح الأستاذ مصطفى بو عبيد الغرض من مثل هذه اللقاءات وهو توفير الوسائل الأولية لتأسيس نادي قارئ تقرأ فيه الأعمال القصصية والشعرية والسردية عامة وتوثق في برنامج عام يُراد به تنمية الكتابة القصصية والأدبية وتركيز عادة متواصلة للتقبل والنقد بإبداء الرأي الحر وتبادل مختلف الأفكار والتجارب ..

ويُعَد تأسيس هذا النادي واحداً من اهتمامات الجمعية المتعددة كإنشاء لجنة خاصة تهتم بأدب الطفل ، والقصة تحديداً ، وبعث لجان للترجمة وتجميع التراث السردى الشفوي والبحث في مجالات السرد المختلفة والعمل على توفير الظروف الملائمة لتنظيم ندوات تهتم بظواهر سردية مخصصة .

- سفر أيوب من التوراة
- الإلياذة لهوميروس
- المهابهارتا الهندية
- الشاهنامة الفارسية للفردوسي
- ملحمة شهودي التركية
- الملحمة الهالانية ...
- وانطلق النشاط ب :

*- في بنية النص الملحمي : محاضرة الأستاذ : مصطفى الكيلاني

البطولة هي أساس الملحمة وهي النواة التي تُشَدُّ رليها مختلف الأفعال والأقوال والأحوال ، فالبطولة في النص الملحمي تُسَرَّد ذاتها إذ السارد ضمير مفترَض هو لسان حال ذاكرة فردية (متعددة) إذا نظرنا إلى سلسلة الرواة عبر الأزمنة قبل أن يستقرَّ الشفري في مدون ولسان حال ذاكرة جماعية إذ نوال السرد ليست إلا رموزاً يمكن فكُّ شفراتها إذا توصلنا إلى معرفة مراجع التخيُّل أي التاريخ بمختلف وقائمه وتعبيراته ... ، والبطولة ، في مستوى ثانٍ ، تُسَرَّد إذ السارد يتباعد عن نصّه حتّى الاختفاء ، وليس لنا عند ذلك إلا البحث داخل نظام النص الخاصّ عن شبكة من المعاني تتواصل تبعاً لخطّة هي الأساس المعرفي الذي يُنظّم كلّ الروابط <http://Archivebeta.Sakhrit.com> وتتعدّد أساليب سرد البطولة :

- أسلوب الحكيم ، وهو مجال يصل بين صيغ شغوية وأخرى منونة ويتّضح في نظام حدثي متسلسل تتخلّله تقطّعات هي من ضرورات السرد عامة والسرد الملحمي على وجه الخصوص كالاسترجاع أحياناً والاستبّاق أخرى والتمدّد والانكماش والإسهاب والاختصار والاسناد الخبري إلى الغائب والوصف ورسم الحالات في غنائية جذلي أو متفجّجه ..
- الحوار الملحمي وهو يختلف عن الحوار الموظّف في التراجيديا أو الكوميديا ...

- معارض رسم الحالات عند التفجّع خاصة بأسلوب غنائي ...
- أسلوب التقرير تدليلاً على حضور الدلالة الحكيمية - النواة .

- وصف المكان المطلق .

- وصف الزمان المطلق بما يُساعد على ربط عالم البطولة بعالم الآلهة ..

***تعريف * الملحمة *** لغة واصطلاحاً استناداً إلى المعاجم العربية القديمة وإلى « لسان العرب » لابن منظور على وجه الخصوص ، وما تضمنته الشعر العربي قبل الإسلام وفي أزمنة لاحقة أيضاً من مشاهد بطولية هي في صميم العمل الملحمي وفي نصوص قديمة من ثقافات إنسانية أخرى أنتجت الملحمة ونظرت لها في مراحل لاحقة ...

- الملحمة تعني جنساً أدبياً : وتحيل المحاضرة على أفلاطون وأرسطو ومقياس « نمط المحاكاة » والمرجع الأخلاقي السائد في الميتولوجيا الإغريقية الذي يفاضل بين السردّي والغنائي (الدرامي) ويضع الملحمة في المستوى الأول قبل السرد الإضحائي والتراجيديا والكوميديا .. فالملحمة هي علامة التفوق الأدبي لارتباطها الوثيق بالوظيفة العقدية واتساع مجالها الدلالي وتنوع أساليبها ، فهي وإن استقرت داخل النمط السردّي فإنّها تتضمن الحوار التراجيدي وأسلوب التدفق الغنائي ...

<http://Archivebeta.Sakhril.com>

- من أشهر الملاحم في تاريخ الإنسانية :

ويشير الأستاذ مصطفى الكيلاني في هذا الحيز إلى أنّه بالإمكان تصوّر أعمال مستقبلية في نطاق الجمعية التونسية للإبداع القصصي إذا توقّفنا عند هذه العناوين ، ومن الملاحم التي يذكرها :

- « عندما يحدث في الأعلى (Enuma Elish) أو (Lorsqu'en haut) وهو شعر ملحمي يعود إلى نهايات الألف الثالث قبل المسيح ويقصّ حكاية الخلق البابلية ويُقرّؤه - في اليوم الرابع من الحفل البابلي بمناسبة العام الجديد - في فصل الربيع - الكاهن الأكبر أمام تمثال الإله ..

- ملحمة جلجامش ، موضوع المحاضرة .

- ملحمة شمشون في التراث العبري .

— حول تحقيق النص : تُعتمدُ النسخة التي ترجمها فراس السواح إلى العربية

وقدّم لها ، وهي نسخة بالبلو آشورية نقلها إلى الانجليزية Alexander Heidel
وقد عُثر على النسخة الاشورية في قصر آشور بانيبال ، ملك آشور .. أمّا الأصل
السومري فإنه تُرجم إلى الانجليزية أيضا من لدن S.V KRAMER ، وإذا
النسخة العربية تسفيد من النصين وتعتمد النسخة الحثية أيضا التي عُثر عليها في
اسيا الصغرى ، عند ظهور كسر أو تفسخ في النصين المذكورين ..

إن مجموع الاعمدة التي كُتب فيها النص الملحمي إثنان وسبعون تنقسم إلى إثني
عشر لوحاً إذ لكل لوح إثنا عشر عموداً ..

ملحمة جلجامش : نسيج الحكاية .

تتواتر الأحداث تبعاً لمنطق سببي والواصل بينها : حضور جلجامش الدائم
والفاعل باستمرار ..

ويتجاذب النص في البدايات مركزان للبطولة جلجامش حامي أروك وأنكيكو
الذي خلقته أرورو لوقف تجبر جلجامش .

ويستعيد المركز الواحد للبطولة حضوره يهلك أنكيكو ، فتشهد الملحمة حركة
تنامي سريعة بعد هذا الموت إذ تخترق جلجامش لأول مرة في مسار النص الملحمي
موجة حزن عارمة ويندفع بقوة ، عجائبة إلى عالم الآلهة ، حيث أو تنابشتيم ، بحثاً
عن الخلود ...

ويمكن تقسيم الحركة السردية إلى مواطن ثلاثة تبعاً لحدث موت أنكيكو :

— ما قبل موت أنكيكو :

خلق جلجامش ورُشّح منذ البدء للاضطلاع بالدور البطولي ، إذ خلقه « شمش »
إله الشمس و « حدد » إله الساعة والأمطار و « أرورو » من آلهة الخلق عند البابليين ، ثم تجبر
.. فيتذمر أهل أروك وتوجد الآلهة قوة مضادة يخلق أنكيكو والذي هو صورة للقوة
البداية ، ويفضي هذا الموطن الأول إلى انتقال أنكيكو إلى دائرة التحضر عن
طريق المرأة المحظية ونشوب الصراع بين جلجامش وأنكيكو ثم توطد علاقة

الصداقة بينهما والانتقال إلى مرحلة إنجاز المهام الصعبة في مشاهد بطولية مشتركة ..

– موت أنكيو : ينجح كل من جلامش وأنكيو في مهمة قتل الوحش خُنبابا ، ويتطهر جلامش ويتزيّن بعد الانتصار فتُبصره عشتار إلهة الطبيعة والخصب وربة العشق الجسدي الضامن للتناسل وتدعوه إليها ولكن جلامش يرفض الإستجابة لإرادتها وتغضب الإلهة لشعورها بالإهانة وترفع شكوى إلى أبيها « أنو » ويكون الانتقام بعد قرار مجلس الآلهة العاجل بخلق الثور السماوي الذي عاث في البلاد فساداً ويزداد غضب الآلهة عند قتل أنكيو للثور ...

– ما بعد موت أنكيو :

تنتقم الآلهة من أنكيو الذي يصيبه مرض قاتل ثم يفارق الحياة . فتتولد الفاجعة في النهص من خلال ذات جلامش وينقلب النصّ اللحميّ بذلك إلى مشاهد قاتمة نتيجة استفحال وعي الموت .. ويردّد جلامش بين العجز والاندفاع ويكون السفر إلى عالم الآلهة وجهاً للمكابرة والتحدّي .. يسافر جلامش إلى أوتابشتيم بحثاً عن حياة أبدية وتعرضه مشاق طريق موحشة ويدرك سرّ الخلود بالاستماع إلى قصة الطوفان يرويها أوتابشتيم ويحصل على المنقذ الذي هو نبتة يُخرجها من أعماق نهر ؟ إلا أن جلامش عند الاغتسال في بركة يدعُ النبتة على حافة فتشتمعها الأفعى ثم تأكلها ، وبذلك تكتمل مأساة جلامش ويعود حزينا مهزوماً إلى أروك مع أورشنابي ملاح أوتابشتيم ... فملحمة جلامش بهذا التسلسل العام بطولية مفرّدة بلغت زقاصي العالم وانتهت إلى حقيقة ثابتة لا يمكن أن تتزعزع في واقع الوجود ومحطّ تمثّل الوجود هي حقيقة الموت ..

*** ملحمة جلامش :** نسيج معانٍ تتضمن أسئلة البدء ، أسئلة الكينونة وتقصّ

تاريخ المعرفة الأولى وتمثّل الوجود والموت :

تُصوّر الملحمة بلغتها الخاصة مشهد الخلق ، وهو يختلف من سياق جلامش

إلى أنكيو ، هو العناصر الخفية تتواشج في تركيب جلجامش عوداً إلى « شمش »
إلاه الصاعقة والأمطار وأرورو من آلهة الخلق ، وهو العنصر الواحد : العطين فسي
تركيب أنكيو ..

وتقترن أسئلة أخرى بأحداث التحول الإنساني من البدائية إلى الحضارة في مجال
قصة أنكيو والمحظية ...

ويتوقف الأستاذ الكيلاني عند مشاهد الإدارة بين الممكن والمستحيل . وبين الفعل
ونقيضه ، والمواطن المتعلقة بالصدقة وماهيتها المقدسة وبالحب والموت والخلود وما
يخص حكاية الطوفان الذي ورد مطولاً واحد من سياقات الاسترجاع ..

ويختم محاضرته بتأكيد أن نص الملحمة شاسع في بئانه السردى العام ، متعدد
الوظائف والوظائف الفرعية تبعاً لخطّة سردية هي من النص الملحمي وإليه تعج
بإشارات المختفي الميتولوجي وتستلزم تدخل أعضاء أخرى للقراءة منها ما يتصل
بعلم المقارنة بين البيانات القديمة ومنها ما يخص علم الأناسة (الأنثروبولوجيا)
ومنها ما يتنزل ضمن البحث في جذور المعرفة الإنسانية لمحاولة إدراك البعض من
الحلقات المفقودة في زمن البدايات ..

<http://Archivebeta.Sakulib.com>

وليست القراءة في هذا المقام إلا مقارنة تهتم بالظاهرة السردية في اتصالها
بالجهاز المعرفي العقدي الذي أنتجها وحق بها وتلبسها واندس في مجمل خيوط
نسيجها ..

وتناول النقاش عديد الجوانب المتصلة ببعض المعاني الدقيقة في النص الملحمي
ويعمّوع « الواقع والمنتخيل » وإمكان البحث في الرابطة الواصلة بينهما ضمن
نص قديم له نظامه المعروض والعقدي الخاص ولكن معاني كثيرة في ملحمة
جلجامش تفرّ اليوم من إدراكنا وأخرى هي من الإنسان وإليه ويمكن إدراكها
وأخرى هي من الإنسان وإليه ويمكن إدراكها في أي عصر لأنها تخص أسئلة البدء
فهي الأسئلة المتكررة عبر العصور وإن تعددت المساءلات ...

ملتقى العقل والتراث بالمنستير

إعداد الأستاذ: الأزهر النطفي

نجاح منقطع النضير وحضور جماهيري متميز :

من الخيارات الأساسية الكبرى التي درجت المنويّة الجهوية للثقافة بولاية المنستير على اتّباعها وتجسيدها على أرض الواقع منذ إسناد مهام إدارتها إلى الأستاذ القدير محمد صالح العتيل خيار تنظيم ندوات فكرية على غاية من الأهمية والثراء تستقطب فعاليات شرائح المثقفين خاصة منهم جمهور التلاميذ والطلبة بسبب ارتباطها في أغلب الأحيان بالبرامج الدراسية كما تسعى هذه الملتقيات إلى التنوير والإفادة بالمحاضرة القيّمة والبحث المعمّق والحوار المسؤول وتندرج ندوة العقل والتراث التي اجتمعتها قصر المؤتمرات بمدينة المنستير يومي 4 - 5 فيفري 1994 في سياق هذا التوجّه الهادف القائم أساساً على التواصل والإنبعاث الثقافي . وقد نظّمت هذه الندوة الفكرية بالتعاون بين المنويّة الجهوية للثقافة بولاية المنستير ونادي الهادي نعمان للإبداع الأدبي الذي يترأسه الأستاذ رياض شحيدر وقد افتتحها الأستاذ محمد صالح العتيل بكلمة بليغة أكّد فيها إصرار المشرفين على حفظ الثقافة بالمنستير على دعم وإثراء ثوابت وأهداف مشروع ثقافة التغيير علماً أنّ المنويّة الجهوية للثقافة بولاية المنستير تسهر منذ أشهر بالتعاون مع وزارة الثقافة على تنظيم الدورة الرابعة للملتقى الطفل والمجتمع التي ستلتئم يومي 15 و 16 أفريل 1994 تحت عنوان الطفل والثقافة بمشاركة أسماء مغربية بارزة نذكر من بينها الأساتذة : عبد الوهاب بوحديبة ، خليفة حرز الله ، خديجة بوزقرو والكاتب المغربي أحمد الاوزي صاحب كتاب «الطفل والمجتمع» والأديبة نورة بوقفطان ، والجامعي الجزائري نور الدين الطوالي وزوجته .

* الجلسات الفكرية :

وقد نظمت خلال ملتقى العقل والتراث جلستان علميتان وإكبهما جمهور عريض من الطلبة والتلاميذ وعشاق الكلمة والحرف من ولاية المنستير والولايات المجاورة لها الذين اكتظلت بهم قاعة قصر المؤتمرات وأشرف على تسيير فعاليات الجلستين العلميتين الأستاذان على الشنوفي ومحمد البدوي وقد تركّزت محاور أشغالها على محورين رئيسيين : ثوابت العقل في الفكر الفلسفي والتراث والعقل والتنوير وقدمت خلالهما مجموعة من البحوث والمطارات الجادة ساهمت بها أسماء جامعية تونسية لامعة في مجال الفكر والفلسفة والأدب نذكر من بينهم سفيان سعد الله « النقد الجينيالوجي للعقلانية » محمد الشتيوي « العقل عند المعتزلة » رياض شحيدر « العقل في التراث الأدبي » من خلال نصوص ابن المقفع والمعري ، جمال زواغة العقل بين الثابت والمتحول محمد الجوة « العقل في التراث التعاقيدي » فتحسي التريكي « مفهوم العقل » علي الشنوفي « الأشكال الحديثة للعقل »

وقد تحدث الأستاذ سفيان سعد الله عن النقد الجينيالوجي والعقلانية ولاحظ أن وظيفة هذا النقد تستهدف بالأساس النظر في الحقيقة لا كحقيقة بذاتها بل كمفعول شيء آخر . مفعول قوي تشدّد الفكر وتخلق المعاني وتضبط القيم لأنّ هذه الحقيقة حسب منضري مدرسة النقد الجينيالوجي هي حقيقة العقل لا حقيقة الجسد ، حقيقة الوجود لا حقيقة الحياة إذ أنّ الجينيالوجيا نقد للقيم المطلقة وإرادة فعلية لخلق قيم جديدة هي قيم الحياة وبصورة أدقّ محاولة نقدية لكل ما انتجه العقل من معارف ميطافيزيقية وكذلك محاولة نقدية للمفاهيم الخاوية كمفهوم الذات الميطافيزيقية أو الوعي وهي بالتالي تفجير لما شرّعت العقلانية من قيم متدنية .

أمّا الأستاذ محمد الشتيوي فقد لاحظ في حديثه عن العقل عند المعتزلة أنّ أصحاب هذه المدرسة من المتكلمين قد تسلّحوا بسلطة العقل في زمن سادت فيه سلطة النقل كما أمعنوا النظر في العديد من المسلّمات البديهية التي قلّما تجرّأ غيرهم من أقطاب مذاهب المتكلمين على اقتحامها فأسسوا بذلك تياراً تنويرياً في

التراث العربي الإسلامي فكان رائدهم التدبّر والتفكّر ومنهجهم التعليم فجاءت مواقفهم مختلفة كلياً على مواقف وصراعات الفرق الأخرى كالخوارج والشيعة والجبرية والقدرية وقد انحازوا إلى مسار الحرية والإرادة والفعل وأسسوا حوارهم على العقل باعتباره نقيضاً للمنهج النقلي المحافظ .

على هذا الأساس كان العقل عند المعتزلة مجرد علوم مخصوصة تدفع إلى الفعل والتدبّر والتفكير وبمعنى آخر كان جملة من العلوم الضرورية .

أمّا الأستاذ رياض شحيد فقد لاحظ في بحثه القائم على تحليل موضوع العقل في التراث الأدبي من خلال نصوص ابن المقفع والمعري أنّ ابن المقفع يعتبر همزة الوصل بين الثقافة العربية الإسلامية والثقافة الفارسية إذ خولّ له موقعه الثقافي في عصره عقد مقارنة منتجة وخصيية بين هذا الفكر وذاك وإقدامه على ترجمة كيلة ودمنة ساهم إلى حد بعيد في نقل منطلقات الفكر الفارسي إلى الثقافة العربية . وقد بوأ ابن المقفع العقل مكانة مرموقة في مؤلفاته وجعل منه مقياساً فنياً للتفريق بين الخير والشر « ينبغي للإنسان أن يسلك في الأمور بعين العقل » فالعقل عند ابن المقفع نوعان : العقل الصنيع والعقل الذاتي .

أمّا عن أسس المفهوم السائد للشعر في عصر أبي العلاء المعري فقد لاحظ المحاضر أنّها نهضت بمعايير النقد إذ يرى عنوبة الشعر في ارتباطه بالكذب " الشعر باب من أبواب الباطل " حسب عبارة الأصمعي والتجربة الشعرية فسي اللزوميات لا تستمدّ كيائها الرّحب من الخيال المجنّح بل تنهل أساساً من مرجع الواقع إذ أنّ الشعر عند المعري دعوة صريحة إلى الحكمة والعقل والعقل أمام نبيٍّ ومرشد وهو بالتالي نقيض للنقل وحدٌ فاصلٌ بين الحقيقة والزيف :

« أمّا اليقينيّ فلا يقينيّ أقصى اجتهادي أن أظنّ وأحدس »

أمّا الأستاذ جمال زواغة فقد تساءل في دراسته عن منزلة العقل بين الحقيقة التي قد تصل إلى أقصى حدودها وهي الدغمائية وبين وحدة التاريخ المتبدّل المتحوّل ولاحظ المحاضر أنّ العلاقة بين الثابت والمتحوّل علاقة انفصالية يحكمها منطق

الفجوات والثغرات وذلك بواسطة النقد مع ديكارت ونقد النقد أو بواسطة محاكمة العقل مع كانط والعقل داخل التاريخ مع هيجل وتحطيم العقل مع فلاسفة الاختلاف والملاحظ أن جلّ النوات التي تنظمها المنويّة الجهويّة بولاية المنستير تلغي ظاهرة الغيابات المتفشية في أغلب التظاهرات الثقافية على مستوى الباحثين وجمهور الحضور بسبب التنظيم المحكم والإعداد المسبق للمواد المبرمجة لمداوالت فعاليات النوات الفكرية التي تقوم جميع الأطراف المشرفة على حفظ الثقافة بولاية المنستير وهو فعل ثقافي متميز نشد على أيدي أصحابه وتدعو بقيّة الأطراف المنظّمة للملتقيات الفكرية ببلادنا لتنسج على منواله فلمثل ثقافة الفعل والإبداع فالتنافس المتنافسون .

– الدورة الخامسة للملتقى * فريد غازي * الدولي للأدب العربي :
جربة حومة السوق :

انعقدت بجربة حومة السوق الدورة الخامسة للملتقى * فريد غازي * الدولي للأدب العربي أيام 4-5-6 فيفري 1994 تحت عنوان * في الأجناس الأدبية * وقد تنوّعت المداخلات بتنوّع المشاركات (من تونس نذكر الأستاذة مبروك المناعي ، صالح بن رمضان ورجاء سلامه ومحمد القاضي وكمال عمران ومن مصر الدكتور علي البطل ومن الغرب الدكتور ادريس الناقوري ومن العراق محسن جاسم الموسوي وتباين الأجناس الأدبية التي عني بها أصحاب البحوث – الشعر ، النادره ، المقامه ، الرساله الأدبية .

... واختلفت المصادر والآثار التي انكب عليها الدرس والفحص فمنها كتاب البلاء وكتاب الحيوان للجاحظ وكتاب ألف ليلة وليلة ، ورسالة الغفران لأبي العلاء ومقامات بديع الزمان الهمداني والحريري وغيرهما من كتاب المقامه .. وقد تمحّض عن التفاعل بين هذه المداخلات والجمهور نقاش علمي ثري دلّ على أن الثقافة بربوع بلادنا ، وبالوطن الكبير تسير في الدّرب المراد ، وهو العناية بالتراث من أجل إدراجه في صميم المعاصرة لئلا تنفلق مجحف أو ردة مفزعة . وقد ترسّخ

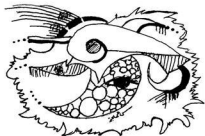
لدى الجميع أن مقولة الجنس الأدبي تظلّ مقولة فعالة من جهة النظر والاجراء .. طالما أنّها منفتحة على مفهوم التداخل بين الأجناس ومفهـ Intertextualite ولا بدّ أن نشير هنا إلى انعقاد حلقة تكوينيّة خصّ بها أساتذة التعليم الثانوي تفرّعا عن الملتقى . فكانت ثمرة التعاون بين الوزارتين الذين اجتمعوا وجاء النقاش على غاية من الدقة والغوص عن مكانم المعرفة بالأدب فمرحى لجزيرة جربة بهذا الملتقى إذ ازدانت فكانت المعرفة حليها والأدب حلّتها .

قيل: فاح العلم والأدب

قلت: من أرجأ نه سبب

جربة الميماد إندعيت

شبّ في أعماقه السهب .



دروب الإبداع

إضاءة : الأستاذ محسن الكريفي

- أحبباء دروب الإبداع - نعود إلى الدّرب من جديد على أمل أن نرسم رويًا مع بعض تنجينا من الاستهلاك اليومي ومن أخلاقيات الإبداع - مثالنا أن تغادر كلّ متردّم وأن نسهر جرّاء شوارد اللّغة وأن نختصم فنّا لا بساطات تعرج بنا إلى بوابات الانداز ..

- أصدقاء هذا الرّكن لولاكم لما رجع « الدّرب » إلى الميلاد من جديد شكرا على إصراركم على التعلّق به وعلى مراسلاتكم السخية ونعدكم بمزيد الجهد والمتابعة والإضاءة المبيّنة .

ARCHIVE

* إلى الاخ شكري طام الله :

<http://Archivebeta.Sakbrit.com>

وصلت محاولتك الجريئة وأصرّ على هذا النّعت لما لمسناه من تخطّ للصياغات الشعريّة المتداولة والتي تسكن الآخر موضوعاً عوض الغوص في معالم الذات هذا اللّغز الذي حير الذات . هذه القصيدة تحمل عنوان « خراب على وجه ذاكرتي » يقول عنها صديق الدّروب شكري : « كتبت هذه القصيدة في حديث أوّل مع جسدي يشقّه الصّمت ويهدده الموت . كان جسداً متكئاً على شفا خطير ، تهريّ ذاكرتي ويغلبني الصّمت وأتبه هياماً في ثنايا الليل أسائله ... »

خراب على وجه ذاكرتي

غرضي

أن أسمّي الموت فاتحة الأبد

وأبحث في الأقاصي ..

عن ذاكرتي
عن وجعي العنيد
وعن روحي ،
أُتسكن الآن ؟
جسداً مسجّى ؟
أم كيان الانتصار والانهزام ؟
ويفتح الصمت ذراعيه
ويسألني:
من حيثما يأتي الموت ؟
ومتى يهرع الفوت ؟

في الذاكرة ... في عمق الذاكرة ...
يتجمّع الصمت ويهزأ ...

ويأتي الكلام بلا ابتسامه
ينحر هرج المدائن ،
والثنايا والعلامه ...

كما الليالي يأتي ...
كما السيوف في خرائب المدينة ...
في جسدي

يموت الفجر
يفوت العمر
وتتشدد الذاكرة خراباتها القديمة

أه يا ذاكرتي ! ... - شكري طاع الله -

أخ شكري ما أحلى كلام المرات وشجن الحديث الأوّل والحبّ الأوّل والقباسة
الأولى .. محاولتك جيّدة في عمقها وفلسفتها ورؤياها إلى خراب الذاكرة ... فما أمرُ

وجعها وما أفضع أن لا تذكر ذكرياتها التي تلتقي فيها اللذة بالألم ... أيها الصديق
نهمس لك أن تتدرب على مسك زمام الإيقاع أكثر وأن تصقل موهبتك عبر قراءات
الشعر القديم والحديث وخاصة شعر بدر شاكر السياب لأنك تتجانس معه نبرة
حزينة وزفرة مكلومة ووشما على ذاكرة الخراب . كما لا يفوتنا أن تبتعد عن
الأسلوب الذي يجعل الخطاب موجهاً إلى مركز الانا لأنك قد تسقط في خطاب
مباشر يبعدك عن الدراما الشعرية .

أخ شكري تنتظر منك أحاديث أخرى في محاولات أخرى ...

إلى الأخت شهرزاد عكاشة :

وصلتنا خاطرتك التي تحمل عنوان « عناق الشمس والبحر » . كانت محاولة
على سباحتها في عالم الهواجس اليومية سؤالا في لحظة شرود تداعيات تستهوي
مزيداً من الانطلاقات وتشجيعاً لك نقطف منها أهم ما رأيناه صالحاً ...

— عناق الشمس والبحر —

تعانق الشمس البحر ، يهتف شعاعها شينا قشينا ... تظهر سحب حمراء هنا
وهناك ، شتات تبعثره رياح شمالية خفيفة . يدغدغ صيوت الأمواج مسمعها
ويوحى لها بالأمان وسط وحشة هذا السكون ...

هي تفكر في ما يخبئ لها المصير ؟ وما عسى تكون نهايتها ؟
لا تدري إن كانت ستستسلم لنخسات القلب تنذر ببدايات يأس قديم ... تحاول
جاهدة دفعها عن ثناياها . ولكن عبثاً ما تزمع عليه ...

ظل البحر ينثف آخر أبيات قصائده ... لا تدري أكان قربانا لغروبها ليستأثر
بهيجانه ؟ أم رجاء تريث لبقايا شعاعات مضيئة ... بدأت تفكر في البحر والشمس
وعناقهما الأبدي ... وفراقهما العسير ... ولا تدري إلى جانب أيها تقف ... وهي
التي ما استحمت على نخب فراقهما ... كم كانت تود السباحة قبل الشروق أو بعد
الغروب ؟ ولكن حلمها ما كان لينطرح واقعا ... كانت تعرف أن وقوفها جسراً بين
الطرفين لكفيل بأن يديم صداقة جسراً بين الطرفين لكفيل بأن يديم صداقة

الشمس والبحر الأزليّة ... خامرتها فكرة شق يمّ المحاولة ... كان البحر قد بدأ يهذي بلجّته المزيّدة ... لابدّ أن تعود إلى البيت ... هنالك ستفكّر في الأمر على مهل ... ولن تتراجع عن السباحة في الهيجان العنيد .

- شهرزاد عكاشة - سليانة -

أخت شهرزاد لطالما شدّني هذا النصّ القصير الطويل : قصير بكمه طويل بدلالاته إنّهُ علامات من علامات الفناء في الوجود هنالك يصبح الفرد ذرّة من ذرّات هذا الوجود المطلق ... ذكرّتي محاولتك بأدبيات الكتابات الوجوديّة ... فيها ينعكس صوت الذّات على صوت الواقع لينسجى صدئ موحّد هو صوت البحث عن الحقيقة اللّغز ... أيّها الصّديقة الجديدة لدروب الإبداع مرحبا بمحاولاتك وتنصحك أن تطالعي الكتابات الوجودية وخاصة السّدّ لمحمود المسعدي والشّحاذ لنجيب محفوظ وكتابات Saint Exupery - لا تبخلي عنّا بأعمالك وستجدين منّا كلّ التشجيع ..
* إلى الأخت هاجر الزّغلامي : (تونس)

عانتنا قصيدتك الملوّنة العاملة لعنوان « مسافرة » كانت محاولة تتأرجح بين الإجادة والانكسار الفنّي .. ومع ذلك فقد اخترنا فاتحتها لأنّها أهمّ ما في محاولتك وهي على إيجازها مقبولة موحية على قصرها ... أخت هاجر في الإطلالة مدعاة للخطأ والكلال وفي الإيجاز بلاغة وصناعة - تشجيعا لك ننشر لك هذه المقطوعة :

- مسافرة -

حين أعلنتُ الرّحيلُ ...
تهت في دروب التّسيان ...
وفي مدارات المواويل
أوقفنني الزّمان
إلى أين الرّحيلُ ؟ ...
قلتُ ...

إلى وطن بلا عنوان ...

- هاجر الزّغلامي - تونس -

- صديقة الدّروب هاجر - اتّجاهك الشعريّ محبّذ وطريقتك في تصوّر الدّخول إلى
محاربه تنبئ ببداية سفرة قد تكون ممتعة - تصرّ على مراسلتنا من جديد ...
ونود أن تطالعي كثيرا لمحمود درويش وعلي محمود طه ونهمس لك هل اطّلعـت
على مجموعة عسل الدّفلى لعزیز الوسلاتي وأفراح مختلّسة لعبد العزيز الحاجي؟
أيتها المسافره لا تسافري بعيداً فدروينا كلّها عناوين ...
حتّى نلتقي مجددا .

أحباء الدّروب نحن نعيش لحظات الحبور في هذه الأيام الصّيام وفرحة انتظار
العید نرجو لكم باسم أسرة التحرير كلّ التّوفيق وجمع الشّمل .. وفي انتظار
محاولاتكم الجديده نودّكم على ما اخترناه لكم خاتمة وهي مقطع من قصيدة لعبد
الوهاب البيّاتي

ARCHIVE

http://Archivebeta.sakr.it.com

تذرف السّروة في اللّيل دموع العاشقة
وتعري صدرها للصّاعقة
وعلى أقدامها يسجد عرّاف الفصول
عاريا أنهكه البردُ وغطّى وجهه ثلج الحقول
يخدش الأرض يعريها
يموت
تاركا قطرة نور

عبد الوهاب البيّاتي